

عاطف الغمري

خفايا النكسة

من المؤامرة إلى الوفاق

كتاب
الإذاعة والتليفزيون
سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة
الاذاعة والتليفزيون

اهداءات ٢٠٠١
أ.د. محمد دياب
جراح بالمستشفى الملكي المصري



[١٧]

خفايا النكسة

من المؤامرة إلى الوفاق

بقلم : عاطف الغمرى

الاخراج الفنى : مكرم شحاته
الغلاف رسم الفنان مجدى نجيب

كلمة أولى

الصدفة وحدها أنبتت فكرة هذا الكتاب .

كانت المناسبة .. دردشة مع صديق حول كتاب عثر عليه فى مكتبة يهودية فى نيويورك . الكتاب اسمه الدولة القديمة الجديدة .. ألفه عام ١٩٠٢ ، تيودور هيرتزل نبى الصهيونية . ووضع فيه خطة محددة ، يتصورها فى خياله ، كجدول زمنى ، تطبقه اسرائيل خطوة خطوة . ودون أى مبالغة ، كان الكتاب يحمل نظرية استعمارية كاملة ، لكل مافعلته اسرائيل منذ قيامها حتى الآن ، وماتفكر فى تحقيقه مستقبلا .

راح صديقى يروى لى بالتفصيل ، كل ما فى الكتاب وباختصار — ساعطى لك مثلا واحد مما فيه .. ان هيرتزل يضع تصورة لما تفعله اسرائيل بعد عشرين سنة من قيامها — يقول .. تفتح الجسور بين اسرائيل والدول العربية ، تصبح الدولة اليهودية القاعدة الصناعية المتقدمة فى المنطقة . وتساهم رؤوس الاموال العربية فى هذا التقدم الصناعى وتضخيمه ، وتفتح الأسواق العربية لتمتص الانتاج اليهودى ، وتسيطر اسرائيل على كل مصادر الثروة فى الشرق الاوسط ..

وبالقاء نظرة مقارنة ، نجد أن هذا التصور بحرفياته هو الهدف الذى تدور حوله اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ وحتى الآن ، وهو نفسه

المعنى الذى تفهمه اسرائيل للسلام فى الشرق الاوسط شيئا آخر غيره .

واذا نظرنا الى مافى كتاب هيرتزل ، نجد تطبيقات له فى اسرائيل . منها مثلا :

* جولدا مائير قالت .. السلام الذى أفهمه ، يعطينى الحق فى أن أمشى في شوارع القاهرة لاتجول وأشم

* أبا ايبان قال .. اسرائيل تريد البترول العربى لا فى تنميتها الصناعية . والجهاز الحربى الاسرائيلى القوى لا عن البترول .

* موشى ديان قال .. ان اسرائيل حسب حدود ٩٤٨ محطة على طريق طويل . ويجب ألا تفرض قيود ملز تحركاتنا . وتحركاتنا تحتاج فتح كل الجسور بيننا وبين العربية المجاورة ، لنعبر عليها . لايكفينا جسر واحد مف الضفة الشرقية للاردن .

* عازر وايزمان ـ رئيس العمليات فى الجيش أثنا ١٩٦٧ .. قال الحدود الآمنة ليست الشكل النهائى لما اسرائيل لنفسها . لأن حدود اسرائيل تتحدد بناء على قاعدتها الصناعية واستيعاب الأسواق العربية لانتاجها مصادر التمويل العربية الى اسرائيل بسهولة دون حواجز .

وأعود الى حديث صديقي . كان يحكى لى كل ما فى هيرتزل والدولة القديمة الجديدة . وأنا أستمع .. واستو لحظتها ، خطر على فكرى خاطر .. أن أقدم للقارىء العربى ما من الجانب الاسرائيلى لما جرى فى الخامس المشئوم من ٦٧ وما قبلة بوقت ليس ببعيد ، وما جرى بعده ، ثم ما ن

أعنابه فى صفحة من تاريخنا لم تفتح بعد • حتى نعرف ما الذى كان يجرى على الجانب الآخر اذا لم يكن هناك مالا نعرفه •• وقطعا هناك الكثير مما لا يزال مغلقا على عيوننا •

وكان هذا الكتاب •• الذى اخترت له عشرة كتب ، بعضها لاسرائيليين وبعضها لمؤلفين انجليز أو أمريكيين منهم المتعاطف بغير حدود مع اسرائيل ومنهم من أجهد نفسه فى البحث عن الحقيقة وقدمها مجردة ، ومنهم ــ وهو استثناء ــ من يحمل نظرة تعاطف مع العرب •

وحرصت وأنا أنتقى هذه المجموعة من الكتب ، أن يكون بينها رابط وأن تكون كخيط واحد ممتد ، يبدأ طرفه بكتاب ، وينتهى بكتاب آخر • وبالتحديد ــ كان كل كتاب ينتهى عند مرحلة معينة من الاحداث ،ويكون التالى امتدادا طبيعيا له ومكملا لاحداثه وهكذا ابتداء من رحلة الخمسين الف ميل التى قطعها الصحفى الامريكى كنيت لاف متنقلا بين القاهرة ، وتل أبيب ، ولندن ، وباريس ، وواشنطن ، ونيويورك ، على طول خمس سنوات ، ليقدم فى كتاب من ٧٠٠ صفحة الاستعدادات أو البروفات التى لم تتوقف فى اسرائيل منذ عام ١٩٥٧ انتظارا ليوم ، توضع فيه هذه البروفات موضع التنفيذ ، حتى جاءها ذلك اليوم الخامس من يونيه ١٩٦٧ • وانتهاء بمستقبل النزاع العربى الاسرائيلى والتأثيرات التى تلقى بظلها عليه من جراء ، تطور الصراع الامريكى السوفيتى ودخوله عصر الوفاق ، كما يعرضه عدد غير قليل من خبراء السياسة الخارجية الامريكية فى كتاب «استعراض لاحداث العالم» •

ونظرا لاهمية موضوع العلاقة الأمريكية السوفيتية ، والتى عرضها أكثر من مؤلف ، وان تطرق كل منهم اليها من زاوية مختلفة بربطه مثلا بمستقبل وقف اطلاق النار كما فعل الكولونيل الامريكى

جيمس بيبورى أو بحركة المؤسسةالعسكرية الاسرائيلية مستفيدة من حالة الصراع بين الكبار كما عالجها البرفسور ج . هورويتز أو بالخوف فى فترة ما بأن يجر النزاع العربى الاسرائيلى الدولتين الاكبر الى مواجهة مباشرة أو بالنظر اليها من زاوية مصالح الدولتين فى عصر الوفاق كما هو وارد فى كتاب استعراض لاحداث العالم ـ لهذا وجدت أن هذا الموضوع يستحق أن نفـرد له فصـلا مستقلا يراعى تطور ومسار العلاقة الأمريكية السسوفيتية من الصراع الى التنافس (وفترة الخوف من المواجهة) ، وحتى دخول عصر الوفاق .

وأرجو أن أكون قد وفقت .

« عاطف الغمرى »

الجزء الأول

مصر تختار قدرها

هيرتزل يزور القاهرة

القاهرة فى عام ١٩٣٠ • ومصر تشتعل حماسا بشاب اسمه مصطفى كامل ، يرفع شعار « مصر للمصريين » والشاب يحمل مهمة محددة تختلف فى طبيعتها عن مهام كثير من الزعماء التاريخيين

كان مصطفى كامل قنطرة أو جسرا ـ هكذا كان ـ عبرت عليه مصر من حال الى حال ••• كيف ؟

ظهر مصطفى كامل فى فتره قاتمة ، ثقيلة على النفس تتنفس فيها مصر بصعوبة بالغــة • تلك الفترة التى تلت هزيمة الثــورة العرابية . فيها أنشبت بريطانيا أظافرها بقسوة لاتقف عند حد ، وبشراسة محمومة ، فى رقبة مصر • وكل همها ، قتل روح الثورة ، بل والتذمر ، بل ومجرد التعبير عن هذا التذمر ـ جهرا أو حتى همسا • والهدف •• بذر أحاسيس الاستكانة ، والاذعان ، والهوان •

ونفض مصطفى كامل كل ذلك عن نفسه •• ونهض وثار . وتذمر ، ورفض ، وأعلن جهرا ثورته ، وتذمره ورفضه •

وبدأ يرفع هذا الحمل الثقيل من عقول ونفوس كل المصريين ـ وكانت المهمة صعبة •• صعبة •

وراح مصطفى كامل يتنقــل بين المصريين • ذهب اليهم فى بلادهم •• فى قراهم • كان يصرخ •• يطلق صياحه • كان لابد أن يصيح . حتى تسمعه الآذان ، وتتطلع اليه العيون ـ تتطلع من

رءوس فوق رقاب مشرئبة • فاللامبالاة بعد هريمة الثورة العرابية ، صارت قرينة للحياة وغض البصر عن كل مايجرح الكبرياء الوطنى •

وشيئا فشيئا ، حرج الناس من اسار حالة سحق الاحساس بمصر فى النفس ، حتى الأعماق •

فنحوا آذانهم وسمعوه يقول : « لا معنى لليأس مع الحيـاة ولا معنى للحيـــاة مع اليأس » رفعوا أعينهم وارتفعت مع الأعـين الرؤوس • ولمست صرخاته ، أحاسيس كبرياء مكنوم •• وكانت الصحوة •• صحوة مصر ، بعد أن حاولوا أن يغتالوها غدرا ، عقابا للفلاحين •• الذين مشوا وراء عرابى يطلبون الحرية والعدل •

وكانت تلك مهمته ، أن يضـمد جراحا فى قلب مصر ، أن يساعدها على أن تستجمع قواها وتنهض ، وأن تصحو •

ولم يعش مصطفى طويلا •• رحل فى ريعان شبابه • رحل بعد أن أدى مهمته • فقد خلق فى النفوس ذلك اللهيب الذى اشتعل ثورة وطنية عارمة فى عام ١٩١٩ • ولقد أشعل سعد زغلول الفتيل الملتهب الذى أوجـده مصطفى كامل وأكمله من بعده محمـد فريد ـ لتنطلق مصر الخالدة ، تطلب حقها وحريتها واستقلالها فى تلك الأيام ـ أيام ثورة ١٩ •

ولنرجع الى عام ١٩٠٣ ، فترة الذروة فى دعوة مصطفى كامل • فى نفس العام وصل الى القاهرة تيودرر هيرتزل • جاء يحمل الى لورد كرومر مشروع اقتطـاع سـيناء ، من مصر ، واقامة الدولة اليهودية عليها ، وبعد ذلك تكون الخطوة التالية الوثوب من سيناء الى فلسطين • ولأسـباب ـ سنوردها فى فصـل لاحق ـ فشـل المشروع •

قبل ذلك بأربع سـنوات ـ فى يوم ٢ يوليو ١٨٩٩ ـ كان

هيرتزل عائدا الى ألمانيا ، من لندن حيث عرض على الحكومة البريطانية اقامة دولة يهودية فى فلسطين ترتبط ببريطانيا التى تحتل مصر ، وتحرس المداخل الشرقية الى قناة السويس ، وتصبح مراكز لموازنة أطماع روسيا وفرنسا فى هذه المنطقة الحيوية من العالم •

وفى رحلة العودة بالقطـار من باريس الى فرانكفورت أخرج هيرتزل من حقيبته مفكرة وقلما وراح يسطر أفكاره وتصوراته عن الدولة اليهودية . وبعد ثلاث سنوات فى ٣٠ أبريل ١٩٠٢ ــ كانت هذه الأفكار والتصورات التى دونها فى مفكرته فى القطار قد تبلورت فى كتاب اختار له مبدئيا اسم «الشعب اليهودى الجديد» .

وأخيرا استقر رأيه عندما نشره بعد ذلك بستة أشهر ، على اسم «الدولة القديمة الجديدة» وكتبه بالألمانية وصدر بها ثم ترجم الكتاب الى العربية ، وفى عام ١٩٦٠ ترجم الى الانجليزية •

والكتاب لا يتضمن نظرية دينية • فكل ما فيه نظرية سياسية استعمارية بحتة • ووراء نشره هدفان •• الأول ، طرح تصـوره للأسـلوب الممكن انبـــاعه ــ فى اطار ظروف عصره لاقامة الدول اليهودية ، ومستقبل الدولة بعد قيامها وشكلها ، والخطوات التى تتبعها بالتدريج ، لتصـــبح الدولة الكبرى ، المسيطرة فى الشرق الأوســـط •

والهـدف الثانى ــ دعائى • فهو من ناحية يرمى الى اقنـاع اليهود بأن حلم اقامة الدولة اليهودية ممكن تحقيقه ، ويقول عن هذا الحلم موجها كلامه لليهودى •• « اذا صممت عليه فلن يكون خرافة » • ومن ناحية أخرى ، يرمى الى اقناع غير اليهود فى الغرب بأن اسرائيل ستكون دولة حضارية فى قلب منطقة متخلفة •

ولنلق نظرة على تصورات هيرتزل فى كتابه « الدولة القديمة

الجديدة » ، مع نقلات مقارنة بالتفكير والتخطيط الاسرائيلي الراهن ، حتى نكون الصورتان متجاورتين ، الماضي (كفكرة ومؤامرة) والحاضر (كحركة وخطوات تنفيذية) • ولنبدأ بنظرة الصهيونية للشرق الأوسط ، ووسائلها في الاستفادة من أوضاعه المتميزة ، فالشرق الأوسط كان في أغلب فترات تاريخه قاعدة لدولة كبرى ـ بابل •• مصر الفرعونية •• الامبراطورية الرومانية الشرقية ، والامبراطورية العثمانية • وجاءت فترة شهدت فيها المنطقة صراعا بين العثمانيين وفرنسا وانجلترا ، لتصبح احداها الدولة الكبرى في الشرق الأوسط •

أما الآن فلا توجد على خريطة الشرق الأوسط هذه الدولة الكبرى • وزعماء اسرائيل يعتقدون أنهم يستطيعون أن يجعلوا من اسرائيل هذه الدولة الكبرى ، وقد درس الاسرائيليون جيدا تاريخ الدولة العثمانية ، منذ بداية قيامها ، واستفادوا من أسلوبها فيما يريدون أن يفعلوه الآن • فتركيا التي قامت الامبراطورية العثمانية على أساسها كانت أصغر من اسرائيل • وتركيا كانت تجاورها من ناحية الامبراطورية الرومانية الشرقية التي أصابها الضعف ومن ناحية أخرى يجاورها العالم الاسلامي المفكك . وقد سهلت هذه الظروف لتركيا الصغيرة أن تسيطر على جيرانها وتتوسع وتقيم الامبراطورية العثمانية .

واسرائيل تحاول السير على نفس الخط • وكما استخدمت تركيا الدين الاسلامي عنصر توحيد للبلاد الاسلامية التي أخضعتها لسلطانها فان اسرائيل تستخدم الدين للحصول على تأييد كافة يهود العالم لها • أما أداتها في السيطرة على المنطقة فهي اقامة جيش قوي وصناعة حربية ضخمة • وتستفيد في تحقيق ذلك من مبدأ نيكسون الذي بدأه في فيتنام وأسماه « الفتنمة » ومعناه حرب الأسيويين بالأسيويين حتى يتفادى معارضة الأمريكيين لحرب فيتنام

ويقول لهم أن الولايات المتحدة لم تعد هى التى تحارب فى فيتنام ، بينما هو يقوى الجيش الأسيوى الموالى له ويغرقه بالسلاح وبنفس الأسلوب يقدم لاسرائيل امكانيات اقامة صناعة حربية فى داخلها تستخدم فى تحقيق أهداف الولايات المتحدة تفاديا لمعارضة الرأى العام الأمريكى التورط فى أى حرب أخرى بعد فيتنام .

واذا عدنا الى كتاب هيرتزل نجد خطوط ما يجرى تنفيذه الآن .. فهيرتزل يقول اننا يجب أن نكون جزءا من الحاجز الدفاعى لأوربا فى آسيا ، ومركزا متقدما للحضارة ضد البربرية وكلمة أوربا فى كتاب هيرتزل تعنى الرأسمالية الغربية وكلمة البربرية التى كتبها هيرتزل تعبر عن مشاعر الصهيونية تجاه الحضارة الاسلامية .

ويشرح هيرتزل تصوراته لدولة المستقبل اليهودية فيتحدث عن قيام القاعدة الصناعية المتقدمة فيها وعند فتح الجسور بينها وبين الدول العربية المجاورة لها والتى تساهم برءوس أموالها فى دفع هذا التقدم الصناعى وتضحيته وتفتح أسواق هذه الدول لتمتص الانتاج اليهودى وتسيطر اسرائيل على كل مصادر الثروة فى الشرق الأوسط وهذه الدول لا يحكمها الاسرائيليون بل يحكمها أبناؤها المتعاونون مع اسرائيل مثلما كانت مصر عندما أخضعها سليم الأول العثمانى وترك الحكم فيها لطبقة المماليك الفاسدة .

ويتصور هيرتزل فى كتابه وجود شخصية عربية ـ بعد ٢٠ سنة على قيام اسرائيل أطلق عليها اسم رشيد بك وصفه بأنه صديق حميم لاسرائيل يبدأ هو بفتح الجسور مع اسرائيل ويفعل فى بلده مثلما فعل المماليك فى مصر ، فيحكم شعبه لمصلحة الدولة المسيطرة .

ومن تصورات هيرتزل أيضا لفلسطين المستقبل ، طرد السكان

الفلسطينيين المعارضين لاسرائيل من بلادهم ويقول بالحرف الواحد :
يجب طرد الفقراء من فلسطين بطريقة سرية وبحرص بالغ (والذى حدث أنه تم طرد الكثيرين من فلسطين ولكن بغير سرية وأمام أعين العالم وتلك نقطة لم يتوقعها) .

وهو يتصور أيضا انه اذا قامت اسرائيل الدولة المتقدمة صناعيا المسيطرة على المنطقة فانها ستعمل على الاقلال من أهمية قناة السويس ، ويتحول مرور السفن الى قناة بديلة تشق داخل اسرائيل وتعمل على أن تفضلها الدول لانها ستقدم لها تسهيلات أوفر . ولكن كل ذلك لا يتم الا اذا سيطرت اسرائيل على جاراتها . والخطوة الأولى يحققها رشيد بك بتسهيل سيطرتها على بلاده .. بعد ذلك تتحرك اسرائيل نحو هدفها التالى بأن تصبح الدولة الكبرى فى المنطقة .

وهذا نفسه هدف معاصر للولايات المتحدة فهى تود أن يتحقق ذلك لاسرائيل لأنها تخشى أن يستخدم العرب البترول لتحقيق مصالحهم . ومصالح أمريكا واسرائيل متماثلة فى الوقت الحاضر فأمريكا لا تريد عالما عربيا متحدا وقويا ولا تريد سياسة بترولية موحدة .

لو أنهم شنقوا عرابى

هـذه نظرة معاصرة على أحداث قديمة للكاتب البريطـانى « ديزموند ستيوارت » يعرضها فى كتابه « الشرق الأوسط معبـد يانوس » (يانوس هو اله البـدايات والبوابات عنـد الرومان) وفى الكتاب يتناول ستيوارت ما يصفه بالتحدى الذى واجهته مصر، حين **كان عليها أن تستسلم أو تقاوم ، وحين اختارت أن تقاوم .. كانت النقط البارزة للمقـاومة فى فترة المـائة سـنة الأخيرة من تاريخها .. مقاومتها ضد توفيق وما يمثله ، وضد فكرة اقتطاع سيناء من مصر واقامة دولة يهودية عليها ، ومقاومة القومية العربية للحـكم التركى ، ومقاومة مصر للانجليز . الكتاب كما يصـفه ستيوارت ، تاريخ المائة سنة الأخيرة لأكثر المناطق اثارة وتقلبا فى العـالم .**

يتساءل ستيوارت فى كتابه : **ما الذى كان سيحدث فى مصر لو أن عرابى ورفاقه قد شنقوا ؟**

ويبدأ فى شرح تصوره بقوله أن عرابى كان يعرف من القصص الدينية أن آدم وحواء عندما أخرجا من الجنة ، ذهب كل منهما الى جهة مختلفة ، آدم الى سيلان وحواء ، الى الحجاز .

عندما أبلغه محمود سامى البارودى بأمر نفيهم الى سيلان ، قال عرابى اننى أطرد من مصر جنة الدنيا . وانى ذاهب الى سيلان جنة آدم. ورحل عرابى عن مصر. ولكن الحسابات كانت ستختلف

او اختلفت الحوادث .. أى لو شنق عرابى ورفاقه . فالشنق أمر حزين لأسرهم وأصدقائهم . ولكن هؤلاء الشهداء كانوا سيصبحون الهاما مستمرا للنضال المصرى . وبنفى عرابى الى جزيرة الجنة ، نزع الانجليز منه عنصر الخطر ، وان كان عرابى قد تصرف باباء وهو يغادر مصر ، حين رفض توقيع خطاب شكر للخديو .

وبعد عرابى ـ كان على المقاومة التى بدأها ضد تحديات عصره ، أن تتحرك فى اتجاه تحديات جديدة بعد ذلك .

وقبل أن يشرح ستيوارت أول نقط المقاومة المصرية فى فترة المائة سنة التى يبحث فيها ، فانه بمهد بعرض أحداث الفترة السابقة لها والتى أدت بالضرورة اليها .

يقول أن محمد على حاول خلق دولة قوية فى مصر تحت حكمه تنازع قوة السلطان العثمانى وتستقل عنه .

وقررت أوربا ـ وبالأخص بربطانيا تقطيع أوصال محمد على .. ووضعه فى حجمه المطلوب .

واختارت بريطانيا القضاء على مصر اقتصاديا وتحطيم مشروعات محمد على الطموحة ، كجعل مصر مصنعا لافريقيا . ثم استخدمت القوة العسكرية بعد ذلك فى عهد السلطان عبد المجيد الذى خلف أباه محمود الثانى .

فى هذه الظروف شب اسماعيل . وعندما تولى الحكم بعد عباس الأول وسعيد كان الغرب محط أنظار اسماعيل والتغيرات السريعة فيه موضع اعجابه . وعندما أراد مجاراة الغرب أقام دار الأوبرا ولكنهم هناك كانوا قد دخلوا عصر السينما ، هكذا كان التحدى فى نظر اسماعيل . ولكن شعوب الشرق الأوسط على

المستوى السـياسى كانت تواجه تحديا قاسـيا فاما أن تستسلم أو نقاوم .

كان أول هدف للمقاومة ، هو الخديو توفيق بن اسماعيل . ووقع الصدام بين توفيق وبين أحمد عرابى الذى كان يمثل تحدى الفلاحين المصريين للخديو والسلطة التعسفية التى يمثلها .

فى هذه السنة ١٨٨١ كان عرابى فى عامه الحادى والأربعين ، واحدا من أبنـاء الفلاحين الذين أتاح لهم سـعيد فرصة الإلتحاق بالجيش . وبعدها حين تولى الحكم وجد من غير المناسب أن يتـولى حماية دولته الفلاحون الذين يستغلهم حكمه فعاد الى سياسة تعيين الضباط من أبناء جلدته الأتراك .

ومن البداية قام التوتر بين الأتراك الشراكسة وبين المصريين وتفجر الصراع على أيام توفيق . وشخصية توفيق مناقضة تماما لشخصية عرابى ، توفيق مصاب بعقدة نقص سببها أن أمه كانت محظية الخديو اسماعيل ولم يجعلها زوجته الا عندما حملت له أول أبنائه وهو بخلاف اخوته حسين كامل وحسن وفؤاد لم يرسـل الى الخارج للتعليم . ولم يكن مثلهم على صلة قوية بالأجانب وحين تولى الحكم سارع الى تسريح حريم أبيـه بتزويج كل واحدة بمن يرغب فى ثروة ووظيفة محترمة يكون له فيها أولوية التوظف على غيره من المصريين ومنحه قطعة أرض ودفع نفقات زفافه .

كان توفيق رجلا مذعـورا أفزعه طلب عرابى مقابلته فى عابدين ، أحد القصور العديدة التى تركها والده . ووصل عرابى على ظهر حصانه الى عابدين . وفوجىء الخـديو بانضمام على فهمى قائد حرسه الى عرابى ، وبالجماهير تهتف لعرابى وليس للخـديو وبتحدى الضباط الفلاحين لعادة قديمة وهى ان المصريين يجب أن يحكمهم الأجانب .

وقدم عرابى مطالبه للخديو ، ولم نفلح محاولات الخديو ومستشاريه الأجانب فى تخويف عرابى • واستسلم توفيق • ولكن أوربا الاستعمارية لم تكن لترحب بتحول تمرد فى الجيش الى ثورة مصرية حقيقية وشاملة •

ووصل عرابى تؤيده جماهير المصريين الى مركز الحاكم الفعلى لمصر فترة سنة كاملة من خلال منصبه كوزير للحربية حتى أعلنت بريطانيا الحرب عليه وهزمته وأسرته ونفته وباقى زعماء الثورة الى سيلان •

وخفتت شعلة المقاومة حتى أشعلها فى روح مصر مصطفى كامل • وانطلقت هذه الروح تقضى على فكرة اقتطاع سيناء من الأراضى المصرية واعطائها لليهود وكانت تلك نقطة المقاومة الثانية •

وظل مشروع اقامة الدولة اليهودية كله وهما لحين العثور على دولة كبرى تتبناه . واتجه تفكير هيرتزل أولا الى الدولة العثمانية لأن فلسطين تابعة لها وعرض على السلطان اعطاء اليهود فلسطين مقابل مساعدة اليهود له فى سداد ديونه وقيام الصحافة اليهودية بحملة لاستعادة سمعة الامبراطورية العثمانية التى شوهتها مشكلة أرمينيا والنضال الطويل فى البلقان ومساعدة المستوطنين اليهود فى فلسطين للسلطان ضد أية محاولة عربية للانفصال عنه •

ورفض السلطان العرض وأبلغ هيرتزل بأن القدس ثالث الأماكن المقدسة لدى المسلمين ولابد أن تبقى تحت حكمه • واتجه تفكير هيرتزل الى ألمانيا الغربية واتصل بالسلطات الألمانية وأبلغها أن وجود نواة من اليهود الألمان فى فلسطين سيدعم النفوذ الألمانى فى الشرق الأوسط • ولم يعارض قيصر ألمانيا الفكرة • ولكن حدث ما حمله على التزام الحذر فعندما زار تركيا فى هذه الظروف ، قيل له أن الأرض المقدسة التى فتحها عمر للاسلام لن تسلمها تركيا

طواعيــة لليهود فاليهود يمكنهم أن يعيشوا ويصــلوا فيهــا لا أن يستعمروها .

وبحــكم الظروف تحول تفكير هيرتزل الى بريطــانيا وكانت بريطانيا تحتل مصر وفلسطين وتحرس المداخل الشرقية الى القناة التى أصبحت شريان الامبراطورية البريطانية وفلسطين اليهــودية المرتبطة ببريطانيا يمكن أن تصــبح مركز موازنة لأطماع فرنســا وروسيا .

وعندما كانت فكرة اقامة الدولة اليهودية فى فلسطين تصطدم بمعارضة السلطان كانت هناك بدائل تطرح للمناقشة .

ظهرت فكرة اقامة الدولة فى قبرص ورأى هيرتزل انها تصلح نقطة وثوب لغزو فلسطين أو مســتعمرة ملحقة بهــا وأثار هيرتزل مسألة قبرص مع جوزيف تشمبرلين فى أكتوبر ١٩٠٢ .

وظهرت فكرة اقامة دولة اليهــود فى سيناء وفى هــذا الوقت كانت بريطانيا تحتل مصر ولكنها ظلت من الوجهة القانونية اقليما تابعا للامبراطورية العثمانية . واعطاء جزء من أراضيها لليهود أمر لا يملكه قانونا الخديو وليس فى مصلحته . كذلك فالسلطان يدرك الخطر الذى أشار اليه تشمبرلين فى مناقشاته مع هيرتزل ــ وهو ان المستوطنين اليهود قد يشنون غارة من سيناء على فلسطين .

وفوق كل ذلك ــ وهو الأهم ــ فان اقتطــاع هذا الجــزء من الأراضى المصرية سيثير الروح الجــديدة المشتعلة للوطنية المصرية فنفس السبب بصورة أخرى ــ كان النار التى أشعلت ثورة عرابى بين جيل سابق .

والآن فى عــام ١٩٠٢ كان الحزب الوطنى يلعب دورا مؤثرا ومتزايدا بين الشــباب المصريين حاملا شعار زعيمه مصطفى كامل

« مصر للمصريين » وسوف يعتبر المصريون ضياع سيناء وهى أرض مصرية منذ فجر التاريخ جريمة لا تغتفر على أن هيرتزل زار مصر لهذا الغرض وقابل لورد كرومر الذى عرض عليه اقامة دولته فى أوغندا • وفشلت رحلة هيرتزل الى مصر وفكر فى أوغندا كمكان للوثوب عنه الى فلسطين فيما بعد • ولكن باقى الزعماء الصهيونيين أثنوه عن هذه الفكرة واستقر رأيه على أن أرضا يملكها العرب وليس الزنوج يجب أن تكون هدف اليهود •

ومضت الأحداث •• حتى قامت الحرب العالمية الأولى لتبرز النقطة الثالثة للمقاومة فى الشرق الأوسط وفى عام ١٩١٤ بينما كان حكام تركيا يحلمون باعاده انشاء امبراطورية تركية واسعة تضم الأناضول وآسيا الوسطى بدأ العرب يعملون سرا للاستقلال عن تركيا وتكونت منظمات عربية سرية عسكرية ومدنية فى بيروت ودمشق •

كانت الروح القومية العربية قد تيقظت وراحت المقاومة العربية تتفجر ضد الحكم التركى أثناء الحرب العالمية الأولى بينما اليهود يحاولون من ناحية أخرى الاستفادة من الحرب لصالحهم •

وعندما اشتعلت الحرب فى صيف ١٩١٤ دفعت بريطانيا مصر الى اعلان حرب على اعداء بريطانيا بينما قوة القومية العربية تدفع ثورة العرب ضد تركيا وهو ما يحقق مصالح بريطانيا فى نفس الوقت •

واثناء الحرب كان كل جانب من الجانبين المتحاربين يهمه ضم اليهود الى صفه ومع ان تعاطف زعماء الصهيونية كان مع المانيا خاصة وانهم شعروا انها تستطيع اذا ـ انتصرت فى الحرب ان تضغط على تركيا لاعطاء اليهود فلسطين •• ولكن اتصالات اليهود استمرت مع الجانبين •

وفى بريطانيا عرض حاييم وايزمان اختراعه للمواد المتفجرة وكان هذا الاختراع يهم بريطانيا ، الى جانب أن تأييدها للصهيونية سيقلل عدد اليهود فى بريطانيا كما أن سيطرة بريطانيا على فلسطين يحمى المداخل الى قناة السويس ٠

وبينماأكد الغرب للعرب تأييده لاستقلال أراضيهم وهو ما تضمنته الفقرة ١٢ من اعلان الرئيس الأمريكي ويلسون فى ٨ يناير ١٩١٧ ، فان بريطانيا أصدرت فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور الذى يعطى اليهود وعدا باقامة وطن قومى فى فلسطين ٠ ولم يكن الوعد من صياغة بلفور فقد كتبه الصهاينة بأنفسهم وعبر المحيط الأطلنطى الى أمريكا ٠ ووافق عليه الرئيس ويلسون ٠

والغريب أن الوزير اليهودى البريطانى سيرادوين مونتاجو عارض وعد بلفور خوفا منه على اليهود وقال ان الوعد سيثير معاداة السامية ، بوضع اليهود فى مركز الذين يطردون سكان فلسطين ويستولون على اراضيهم ونفى ان فلسطين القرن العشرين لها صلة باليهود وصحيح انها لعبت دورا فى التاريخ اليهودى ٠ ولكن دورها أكبر فى التاريخ الأسلامى وكذلك المسيحى ٠

وانتهت الحرب العالمية الاولى وانتصرت بريطانيا وكان اهتمامها بقناة السويس سببا فى اهتمامها بوضع فلسطين تحت سيطرتها ٠

من هنا يدخل ستيوارت الى النقطة الرابعة للمفاوضات المصرية فى هذه الظروف كان يحكم مصر أنصاف المصريين من الباشوات من أصل تركى ٠ هؤلاء كانوا وطنين اما من ناحية الشعور بالاختلاف عن الغرب المسيحى ، أو من ناحية الرغبة فى احتلال المراكز التى يحتلها الأوربيون ٠ ولكنهم كانوا بعيدين عن مصر القرية والشوارع الضيقة ولأنهم كانت تنقصهم الرابطة الوطنية بالأرض التى يحكمونها ٠

كان الباشوات أنصـــــاف المصريين يحلمون بالتخلص من البريطانيين لأخـذ مراكزهـم • والمتعلمون المصريون يحلمون بأن يصبحوا باشوات والمحامون الشوام يحلمون بأن يصبحوا باكوات • ويحلم الفلاحون بأن يصبحوا عمدا • والمعدمون منهم يحلمون بأن يملكوا فدانا من الأرض •

الكل يحلم حتى اشتعلت الحرب وظهرت بعد انتهائها الروح الوطنية القوية بين الشباب المصريين الذين أشعلوا ثورة ١٩ ـ نقطة المقاومة الرابعة ضد الاحتلال الانجليزى لمصر ، وضد حكم انصاف المصريين فى نفس الوقت • ويبرز المؤلف هنا دور سعد زغلول فى هذه الأحداث ورفعه دعوة الاستقلال عن بريطانيا • ولكنه يعيب على المصريين التركيز على سعد زغلول كشخص متمثلا ذلك فى قولهم « **الاحتلال على يد سعد ولا الاستقلال على يد عدلى** » عندما كان سعد على خلاف مع عدلى يكن • ويعيب ستيوارت على سعد ايضا أنه وهو الزعيم لم يزجر من رفعوا هذا الشعار •

ويمضى المؤلف مع رواية أحداث حرب ١٩٤٨ وقيام اسرائيل وثورة ٢٣ يوليو فى مصر والغارة الأسرائيلية على غزة عام ١٩٥٥ وصفقة الأسلحة المصرية السوفيتية وقضية سحب عرض تمويل السد العالى وتأميم القناة وعدوان ١٩٥٦ وكل الأحداث الهامة فى الشرق الأوسط بعد ذلك بحرب يونيو ١٩٦٧ •

ثم يقول ان الحكومة الاسرائيلية قامت بدراسة دقيقة لحكومة جونسون وأنها كانت تعرف جيــدا انهــا برغم تحذيراتهــا لمصر واسرائيل بعدم البدء فى اطلاق النــار ، فان اسرائيــل اذا دفعت بالموقف الى الحرب فستجد حليفا متفهما لها فى الأمم المتحدة يمثله آرثر جولدبرج المنــدوب الأمريكى الصــهيونى ، وعطفــا كبيرا فى واشنطن ، وملجأ أخيرا لحمايتها فى الأسطول السادس •

وعندما نشبت الحرب وجدت تأييدا أمريكيا وأسلحة أمريكيه منها طائرات الفانتــوم تســاعدها على التشبث بالبقاء فى الأراضى العربية المحتلة وبعد الحرب ســاعدتها الدبلوماسية الأمريكيــة فى الأمم المتحدة ، ولا تزال قوات اسرائيل فى سيناء بعد أربع سنوات من الحرب طامعة فى البقاء تحقيقا لأطماع قديمة أخمدتها المقاومة المصرية • ولن يقدر لاسرائيل البقاء فعلى طــول تاريخ مصر اختــار المصريون المقاومة ، ورفضوا الاستسلام •

الجزء الثانى

من خفايا النكسة

الحرب التى دارت مرتين

بعد أن قطع « كينيت لف » ٥٠ الف ميل فى خمس سنوات ٠٠ تنقل خلالها بين القاهرة وتل أبيب ولنـدن وباريس ونيويورك • وواشنطن • وضع كتابه ((السويس الحـرب التى دارت مرتين)) والكتاب حصيلة خبرة المؤلف كمراسل لصحيفة ((نيويورك تايمز)) الأمريكية : فى الشرق الأوسط من ١٩٥٣ ــ ١٩٥٦ • وفى لنـدن حتى ١٩٥٩ وفى الامم المتحدة حتى ١٩٦٢ • وعمله كباحث فى تاريخ حرب السويس فى جامعة برينستون من ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ •

وهو أيضا حصيلة لقاءاته مع جمال عبد الناصر ، وايزنهاور ، وايدن ، وبينو وابا ايبـان وجنرال ستوكويل ، وجنرال بوفر ، وخمسة من أعضاء حكومة ايدن • وكلهم شخصيات رئيسية فى صنع الأحداث التى يتناولها الكتاب ، الذى يقع فى ٧٠٠ صفحة ، والذى صدر فى لندن •

ويقول كينيت لاف : كانت حرب ١٩٥٦ ــ حسب وجهة النظر الاسرائيلية تدريبا و « بروفة » لحرب ١٩٦٧ • فى الأولى حاربت اسرائيل لاحتـلال سيناء ٠٠ وفشلت وفى الثانيه حاربت لنفس الهدف ، ولأهداف أخرى لم تحققها فى المرة السابقة •

وفى الحالتين كانت البداية غارة اسرائيلية على غزة فى فبراير ١٩٥٥ يصـــفها كينيت لف فى كتـابه ، بأنه فى نفس الليلة التى

وقعت فيها ، ولدت أزمة السويس التى ظلت بغير اسم حتى اتضحت صورتها النهائية فى السنة التالية .

عبر هذه السنين يتابع المؤلف حركة الاحداث التى حفرت على وجه الشرق الأوسط اخطر ازماته ويبرز علامات ثابته على طول هذه الفترة مثل اقتناع اسرائيل بأسلوب دفع العرب الى مواجهة مباشرة معها ، والعمل على عدم تدخل الدول الكبرى أو الأمم المتحدة حتى تفرض السلام بشروطها .. ان السلام لم يكن هدفا اسرائيليا الا اذا كان بغير ثمن أو بثمن يدفعه العرب .. ان اسرائيل وجدت بالقوة وعاشت بها ولن تنتهى بغيرها .

وللليلة الأخيرة من شهر فبراير ١٩٥٥ لها ملامحها المتميزة بين ليالى تلك السنة . فيها وقع حادث أدى الى سلسله من الحوادث بين مصر واسرائيل - بدأت بالغارة والغارات المضادة وسباق التسليح والارتباطات الجديدة مع الدول الكبرى - وكلها مهدت الطريق امام حربين فى عشر سنوات تقريبا .

فى تلك الليلة تحركت قوة اسرائيلية بتعليمات من بن جوريون عبرت خط الهدنة الى غزة وهاجمت معسكرا للقوات المصرية .

وفى الحال ابلغت اسرائيل هيئة الرقابة على الهدنة ان هذه الغارة عبارة عن معركة حدثت ، بعد ان وقعت داورية اسرائيلية فى كمين أعدته قوة مصرية داخل أراضى اسرائيـل . ولكن هيئة الرقابة على الهدنة ومجلس الأمن نفســه أدانا اسرائيل لارتكابها هجوما مدبرا ومبيتا بناء على أوامر من الســلطات الاسرائيليــة . ووصــف الجنرال بيرنز رئيس هيئة الرقابة فى ذلك الحين هــذه الغارة بأنها أخطر اشتباك بين الجانبين منذ توقيع اتفــاقية الهدنة فقد كان واضحا أن هــذه الغارة التى جاءت بغير اســتفزاز على الإطلاق ستدفع الرئيس عبـد الناصر لاجراء تغيرات أســاسية فى

سياسته الخارجية والدفاعية وأن قراره باعادة تسـليح قواته قد اتخذ بالفعل في تلك الليلة التى لم ينم فيها أحد .

فما هي الدوافع وراء هذه الغارة ؟ يقول كنيث لف ان بعض دوافع بن جوريون تبدو نابعة من اعتبارات داخلية محضة . وانه عندما تقع متاعب على الحدود تسحن اعصاب الاسرائيليين بالتوتر ويتصاعد هذا التوتر حتى ترد أنباء وقوع غارة انتقامية .. فيسرى الارتياح فى الحال بين الاسرائيليين .. وتهدأ اعصابهم .

ولـكن فى غارة غـزة لم يحدث شيء يستوجب الانتقام .. فالحدود كانت هادئة فما هى الدوافع الحقيقية اذن ؟

فى الفترة من نوفمبر ١٩٥٣ الى فبرايـر ١٩٥٥ كان موشى شاريت رئيسا للوزارة وبن جوريون كان قد تقاعد فى سد بوكر فى صحراء النقب وبعودة بن جوريون الى الحكومة كوزير للدفاع فى فبراير ١٩٥٥ بدأت السياسـة الاسرائيلية تتجـه فى طريق المغامرات المشحونة باحتمالات الخطر وكانت غارة غزة أولى نمط هذا الطريق ، وتطبيقا لسياسـه العنف القديمـة التى خلفت دولة اسرائيل والتى استمرت تميز سياسة تجاه الدول العربيـة حتى انسحاب بن جوريون الى النقب فى نوفمبر ١٩٥٣ .

يقول لف .. ان ألان دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أبلغه فى حديث صحفى أجراه معه قبيل أزمة السويس « **ان بن جوريون لم يكن يستهدف السـلام ابدا** » ويضيف لف ان كثيرين من الاسرائيليين والصهاينة يعترفون بذلك .

وقبـل عام ١٩٥٦ بفترة طويلة كان بن جوريون وشاريت يختلفان حول دور الجيش فى صياغة وتنفيذ السياسة الاسرائيلية تجاه العرب .

وخلال السنوات التى سبقت حرب السويس لم تكن المشكلة حول الحرب بل حول الغارات الانتقامية التى مرت بعدة مراحل من التصاعد ، قبل أن تصل الى مرحلة الحرب . والحقيقة أن الخلافات بين انصار التدرج كما يمثلهم شاريت ودعاة التشدد ، كما يمثلهم بن جوريون كان فى أساسه خلافا بين انتهاز الفرص وبين خلقها .

فى هذه الظروف كانت هناك عدة عناصر تكيف الظروف المواتية أمام بن جوريون للهجوم على غزة . مثلا :

● وقعت مصر وبريطانيا فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٣ ، الخطوط العريضة لاتفاقية الجلاء عن مصر وأحسست اسرائيل ان ذلك سيقلب ميزان القوى ضدها بعد تخلص مصر من القوات البريطانية فى اراضيها .

● هاجم هنرى بايرود مساعد وزير الخارجية الأمريكى اسرائيل ودعاها للتخلى عن كونها دولة صهيونية محضة ، ووقف الهجرة غير المحدودة اليها وبعد أن أشار الى ضغط الجماعات الخاصة ((وأعلن عدم وجود مكان فى تفكير أمريكا لسياسة موالية لاسرائيل وموالية للعرب قال : أقول للاسرائيليين .. يجب أن تنظروا من زاوية واقعية لأنفسكم على أنكم احدى دول الشرق الأوسط وأن تنظروا الى مستقبلكم فى هذا الاطار وليس على انكم مركز ، أو نواة أو متحدث باسم مجموعات من الناس فى أنحاء العالم يجب أن تكون لهم حقوق خاصة فى بلادهم وعليهم التزامات تجاة اسرائيل .

وردت اسرائيل والصهيونية فى خوف وغضب على ما اعتبرته هجوما على الهدف الحيوى والمقدس لاسرائيل والصهيونية فشنت حملة عنيفة على بايرود تتهمه بمعاداة السامية .

● فى يوليو ١٩٥٤ أرسل أيزنهاور خطابا الى الحكومة المصرية يعد فيه بتقديم مساعدات اقتصادية لمصر .

وأمام كل هذه الاعتبارات .. قرر بن جوريون توجيه ضربته في داخل مصر . فصدرت الأوامر من المخابرات الاسرائيلية الى عملائها في مصر بتفجير القنابل في المراكز الثقافيه الأمريكية والبريطانية ودور السينما المملوكة للبريطانيين ومكاتب بريد مصرية .. كل ذلك بهدف نسف التقارب الأنجلو أمريكي مع مصر بخلق انطباع بأن هناك عناصر تتبع العنف معارضه لهذا التقارب . وان نظام الحكم في مصر لا يستطيع حفظ النظام .

وانفجرت القنبلة الأولى في مكتب بريد في الاسكندرية في ٢ يوليو ١٩٥٤ ، الثانية في مكتب الاستعلامات الأمريكي بعد ١٢ يوما . وفي نفس اليوم فشلت عملية التخريب التى أطلقت عليها اسرائيل اسم عملية الأمن لأن أحد عملائها ويدعي فيليب ناتانسون اشتعلت في يده القنبلة أمام سينما ريو بالاسكندرية وأسفر اعتقاله واعترافه الى القاء القبض على افراد شبكته وادى هذا الفشل الى عزل بنحاس لافون وزير الدفاع وتولى بن جوريون هذا المنصب فيما بعد وبسبب فشل هذه العملية بدأ المتشددون حملة جديدة باقامة تحالف غير مكتوب مع فرنسا ضد عبد الناصر . وسرعان ما حلت فرنسا محل بريطانيا والولايات المتحدة كمصدر رئيسي لتوريد الأسلحة الى اسرائيل .

وفي ٣١ يوليو ١٩٥٤ - بعد اربعة ايام من توقيع الاتفاق المصري البريطاني اتصل شيمون بيريز تليفونيا بوزير الدفاع الفرنسي كوينج . وفي اليوم التالي استقبل كوينج بيريز الذى قدم له قائمة بالأسلحة التى تريدها اسرائيل .. ووصل موشى ديان بعد أسبوع . وفي خلال خمسة أيام توصل الجانبان الى الاتفاق الذى بدأت فرنسا بمقتضاه شحنات الأسلحة السرية الى اسرائيل . في ذلك الوقت كانت ظروف خروج لافون من وزارة الدفاع ورغبة

الرأي العام الشديدة في تغير الوجوه التى تتولى الحكم قد هيأت الجو أمام عودة بن جوريون ، الذى عاد فعلا الى وزارة الدفاع فى فبراير ١٩٥٥ .

وبعد ذلك بتسعة اعوام سأل كينيث لف شاريت :

هل هناك صلة بين فضيحة لافون والغارة على غزة ؟ .. واجاب شاريت : الصلة هى انه عندما عاد بن جوريون كوزير للدفاع فانه قرر الهجوم على غزة .

وينتقل لف الى الحديث عن تأثير الغارة الاسرائيلية على غزة على السياسة المصرية فيذكر ان عبد الناصر قرر اعطاء جيشه اسلحة جديدة وهذا أول تغيير رئيسي . والثانى تنظيم وحدات من الفدائيين .

كان هناك اعتقاد قوى منذ أمر بن جوريون بالهجوم على غزة بأنه اذ لم يكن يسعي فعلا للحرب ، فانه يرحب بها .

لهذا قرر عبد الناصر شراء السلاح من الغرب ان امكن فاتجه أولا الى واشنطن ورغم ان واشنطن كما قال **ايزنهاور** فى كتابه « **خوض السلام** » لم يكن لديها شك فى ان ــ عبد الناصر مشغول بالدفاع وليس بالعدوان فانها لم تلب طلبه ولجأ عبد الناصر الى بريطانيا فاشترطت ان يشمل الثمن وقف حملات الدعاية المصرية ضد جهود الغرب لاقامة أحلاف مع الدول العربية .

وزاد احساس مصر بحاجتها للسلاح عندما أزاعت وكالات الأنباء أن أسلحة فرنسية تصل سرا الى اسرائيل ، وفق الاتفاق الذى وقعه ديان وبيريز فى باريس فى أغسطس ١٩٥٤ .وأحس عبد الناصر أنه لم يعد لديه وقت يضيعه .. وقرر الالتجاء الى السوفيت وشرح كينث لف كيف روى له عبد الناصر قصة الاتصال بالسفير السوفيتى سولود فى القاهرة فى ١٨/مايو ١٩٥٥. قال عبد الناصر.

تحملت مسئولية المشكلة كلها . كان هنـاك حفل استقبال لاسماعيل الأزهرى رئيس وزراء السودان بالسفارة السودانية وفى هذا الحفل قابلت سولود .. كان لقاء قصيرا ، سألته : نحن نريد منكم اسلحة ماذا سيكون ردكم ؟ .. وبعد بضعة ايام جاءنى سولود ، ليقول انهم مستعدون .

ثم أرسلت الى بايرود السفير الأمريكى (فى ٩ يونيـو) ليقابلنى أبلغته أننا طلبنا أسلحة من السوفيت وأنهم وافقوا..وجاء رد الفعل فى اليوم التالى من السفير البريطانى . جاءنى يقول أن لديهم معلومات (وقد حصل على معلومات من بايرود) بأننا سنأخذ أسلحة من الاتحاد السوفيتى وأننا اذا فعلنا ذلك فانهم (بريطانيا) لن يعطونا أسلحة أو ذخيرة أو قطع غيار . قلت له : اننى ابلغت بايرود ليتفهم ذلك وليس لكى تقدم الى انذارات . انتم دولة حرة ولكم ان تفعلوا ما تشاءون ونحن دولة حرة ونستطيع أن نفعل ما نشاء واعتقدوا اننى اخدعهم فقط .

ولم يكن ناصر يخادع . قام بمحاولة ثانيـه مع واشنطن فى ١٦ يونيو واخرى فى ٣٠ يونيو .. ثم أرسل وفدا الى براغ للتفاوض على السلاح .وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ اعلن عبد الناصر توقيع صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا .

كان سلوك اسرائيل منذ عودة بن جوريون الى وزارة الدفاع فى فبراير قد أقنع وزارات الخارجية وأجهزة المخابرات فى الدول الكبرى ان اسرائيل هى الجانب العدوانى وبعد صفقة الأسلحة المصرية بدأ الزعماء الاسرائيليون يتحدثون عن الحرب الوقائية .. وفى خلال شهر امر بن جوريون موشى ديان سرا بوضع خطط الحرب ضد مصر . واتخذ رد الفعل الأولى من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا شكل تخريب الصفقة ، أو على الأقل القضاء على المكانة

الجديدة التى اعطتها لكل من عبد الناصر والسوفييت فى العالم العربى "

وأعربت بريطانيا عن نظرتها الخطيرة للصفقة .. وارسلت الولايات المتحدة جورج آلان مساعد وزير الخارجيه حاملا تحذيرا من جون فوستردالاس وزير الخارجية .

كانت صفقة الأسلحة علامة بارزة فى منتصف فترة العشرين شهرا من الغارة على غزة الى غزو سيناء ١٩٥٦ . بعدها زاد سباق التسلح . واستولت اسرائيل على منطقة العوجة المنزوعة السلاح التى تعتبر نقطة استراتيجية فى دخول سيناء .ومضت الاستعدادات للحرب فى اسرائيل وكما قال بن جوريون فان الحرب وسيلة لتحقيق أهداف سياسية فالتوسع فى الأراضى الذى استمر منذ انشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، ظل هدفا رئيسيا عام ٤٨ ، ١٩٤٩ واستمر كذلك عام ١٩٥٦ باستيلاء اسرائيل على غزة وسيناء ورفض الانسحاب منهما .

ولم يكن السلام امرا يتوقعة بن جوريون وانصاره . كان تصورهم للحرب أن تكون خاطفة توجه فيها اسرائيل ضربة للعرب تدفعهم الى السلام بشروطها قبل ان تتدخل الدول الكبرى وتفرض هدنة أخرى . واذا أمكن أن تقف الدول الكبرى بجانب اسرائيل ، فهذا افضل . ولكن ذلك لم يكن احتمالا متوقعا الا بعد تأميم قناة السويس .

فى هذا الوقت كانت اسرائيل قد استولت على العوجة فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٥ وهى المنطقة التى انطلقت منها قوة الغزو الرئيسية لسيناء عام ١٩٥٦ ، وعام ١٩٦٧ فيما بعد . وسعت اسرائيل لضمان حلفاء يحاربون معها فى حربها المرتقبة ضد مصر .. وساعدتها الاحداث وعلاقات الدول الكبرى بالمنطقة فى ذلك الوقت .

* فرنسا : كانت غارقة في حرب ميئوس منها ضد ثوار الجزائر .. وتعرف أن ستة من القادة التسعة التاريخيين للثورة يحاربون قواتها داخل الجزائر وثلاثة بقوا في القاهرة يحملون مسئولية الحصول على أسلحة ومساعدات أخرى من مصر .

واعتقدت فرنسا انها ستقضى على الثورة في الجزائر اذا تخلصت من عبد الناصر وجمعت فرنسا واسرائيل اللهفة على ايجاد مبرر لتدمير عبد الناصر وابلغت فرنسا اسرائيل انها ستعطيها مساعدات عسكرية لاستخدامها ضد عبد الناصر تفوق احتياجاتها للدفاع عن نفسها .

في ذلك الوقت كما يقول الكاتب الاسرائيلى « بارزوهار » وقعت أزمة تاميم قناة السويس . ولم تغير جوهر خطط اسرائيل التي كانت ستهاجم مصر على أية حال .. ولكنها سهلت لها مهمة ايجاد أسلحة وحلفاء .

* بريطانيا : كانت قناة السويس مسألة حساسة بالنسبة لها . وظلت تأمل في ربط قاعدة القناة بحلف عسكرى ورفض عبد الناصر .

وبدأت الاحداث تتوالى .. اقترحت بريطانيا حلف بغداد وعارض عبد الناصر فكرة الدخول في حلف مع الغرب .. وتم طرد جلوب باشا من منصبة كقائد للجيش الاردنى وبدأ ايدن يشعر بعداء شخصى نحو عبد الناصر وقرر القضاء عليه .

* امريكا : كان دالاس يأمل في ايجاد حلف عسكرى في الشرق الأوسط يكمل الحلقة المفقودة بين حلف الاطلنطى في الغرب، وحلف جنوب شرقى آسيا في الشرق . وكانت المفاوضات دائرة في واشنطن مع المسئولين المصريين حول تمويل السد العالى، وعبد الناصر

قد سافر الى باندونج وعاد من هناك وقد ارتفعت أسهمه كزعيم وطني ، بعدها انتهج سياسة الحياد واعترف بالصين • ولم تكن أمريكا راضية عن سياسة عبد الناصر فهدفها ان ترث نفوذ بريطانيا فى المنطقة وهو ما لا يتفق مع سلوك عبد الناصر •• فاتخذت سلسلة من المواقف المعادية له مثلا : رفضت اعطاءه سلاحا •• سحبت تمويل السد العالى •

وعلى آثر سحب العرض الأمريكي بتمويل السد العالى أعلن عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ قراره بتأميم قناة السويس وبعدها وجدت اسرائيل وبريطانيا وفرنسا المبرر الذى كانت تبحث عنه لغزو مصر •• وأخيرا اصبح لازمة السويس أسم •• وهى التى ظلت بغير اسم منذ ولدت فى ليلة الغارة الاسرائيلية على غزة فى فبراير ١٩٥٥ •

من هنا ينتقل المؤلف الى ظروف أعداد المبرر ـ أو قصة الاعداد للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ •

ولد التواطوء بين الدول الثلاث من زواج تم بين سياسة ايدن المعادية لعبد الناصر وبين التحالف الفرنسى الاسرائيلى •

والتحالف بين فرنسا واسرائيل بدأ بشحنات أسلحة فرنسيه سرية لاسرائيل ثم بالحديث فى يونيو عام ١٩٥٥ عن عمل عسكرى مشترك ضد عبد الناصر • وبعد تأميم قناة السويس عقد اجتماع فى باريس بين بورجيس مونوريه وزير الدفاع الفرنسى وشيمون بيريز فى غرفة الخرائط لمناقشة جديدة حول اجراء مشترك ضد عبد الناصر • ويصف ميشيل بارزوهار الصحفى الاسرائيلى الذى أرخ لحملة السويس هذا الاجتماع بقوله : سأل بورجيس مونوريه بيرنز عن الوقت الذى يستغرق وصول القوات الاسرائيلية الى قناة السويس عبر سيناء •• اجاب بيرنز : حوالى أسبوع وسأل الحد

كبار الضباط بيرنز عما اذا كانت اسرائيـــل مســـتعدة للهجوم على مصر بالاشتراك مع فرنسا ٠٠ اجاب بيرنز بنعم ولم تجر مناقشة أخرى حتى سبتمبر ٠

ابلغت فرنسا اسرائيل بالعملية «موسكيتير» فى أول سبتمبر ٠ وامر ديان هيئة اركان حربه باجراء دراسة لمجموعة الخطط التى اعدت للهجــوم على مصر منــذ عــام ١٩٥٥ وفى نفس الوقت كان بن جوريون يبحث اقتراحا من بورجيس مونوريه بعمل مشترك يضم اسرائيل وفرنسا وبريطانيا ٠٠ ابرق بن جوريون بعدها الى بيرنز فى باريس بالموافقة ٠

وفى ٢٦ سبتمبر طار ايدن وسلوين لويد الى باريس لاجراء محادثات مع جى موليه وكريستيان بينو ٠٠ فى ٢٨ سبتمبر طار ديان الى باريس حاملا قائمة أخيرة بالمعدات العسكرية المطلوبة من فرنسا ٠٠ وفى ٢ اكتوبر دعا ديان أعضاء القيادة العامة للجيش الاسرائيلى وأبلغهم باعلان حالة التأهب استعدادا لغزو سيناء ٠

وتحدد هدف الغزو فى صورته الأولى بالاستيلاء على شــمال سيناء واقامة خط دفاعى على الضفة الشرقية لقناة السويس ٠ كانت القناة هدفــا فى ذلك الوقت كمــا كانت هدفا فى حرب ١٩٦٧ ٠ واستمرت الاتصــالات وقدمت بريطانيــا خطتها المعدلة التى تدعو اسرائيل للهجوم على مصر عبر سيناء ٠٠ وعندما تقترب اسرائيل من القناة تدعو بريطانيا وفرنسا الجانبين ـ للانسحاب بعيدا عن القناة للسماح لقوة انجلوا فرنسية باحتلالها بحجة منع الاضرار بها بسبب الحرب ٠

كان الموقف فى الولايات المتحــدة مختلفــا ٠ فمن بين دائرة المستشــارين حول ايزنهــاور كان الاميرالارلى بورك وحده رئيس العمليات البحرية يتفق مع بريطانيا على ضرورة تحطيم عبدالناصر ٠

ودالاس يكـره عبد الناصر ، ولكنـه لديه تحفظات اراء تحطيمه . وايزنهاور يرى أن ايدن مخطيء في هذا التركيز الشديد على تدمير عبد الناصر . وكان ايزنهـاور معجبـا بعبد الناصر ويراه زعيما مصلحا .

ويروى روبرت مورفي وكيل وزاره الخارجيـة الأمريكيـة احداث هذه الفتره بقوله . **ان الطائفة اليهودية الضخمة ذاتالنفوذ قامت بضغط على المسئولين في الحكومة بلغ حد الارهاب أحيانا .**

ولـكن آيزنهـاور كلف دالاس بارسـال تحذير شخصي الى بن جوريون يسلم الى ابا ايبان سفير اسرائيـل وقتئذ والذى كان مسافرا الى تل ابيب للتشاور . وقال ايزنهاور لايبان واذهب وابلغ بن جوريون انه اذا كانت أية خطوة من خطواته قد أعدت لأنه يعتقد اننا سنكون في وضع يحملنا على تاييده لاننـا سـنكون فى فترة انتخابات فابلغـه أولا انني لا اهتم على الاطـلاق باعادة انتخابى ، وثانيا اننا سنفعل نفس ما قلناه وهو حفظ السـلام . ثم توجـه أيزنهاور بالحـديث الى دالاس قائلا : فوستر يجب ألا تخفف من هذه اللهجة بوضعها فى لهجة دبلوماسية .

ورغم تحذير أيزنهـاور لبن جوريون ، فانه لم يصـدق أن الولايات المتحدة ستخيب امـل اسرائيل . كان يرى أن الولايات المتحدة معادية لعبدالناصر . وانه بصرف النظر عما يقوله أيزنهاور، فان اصوات اليهود لها نفوذ كبير على السياسة الأمريكية ، وأن هذا النفوذ سيبلغ ذروته أثناء حملة الانتخابات الوشيكة .

وصـل بن جوريون سرا الى باريس فى ٢٢ إكتوبر يصحبه دبان وبيريز وحضروا اجتماعا مع بينو وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ، بعدها سافر بينو الى لندن لمقابلة ايدن . ويقول بينو :

ان بن جوريون كان يأمل فى الاستيلاء على صحراء سيناء وضمها لاسرائيل كذلك كان لشرم الشيخ نفس الأهمية .

وفى هذه الظروف احست الولايات المتحدة أنها عزلت عن تبادل المعلومات التقليدى مع حلفائها . ومره أخرى ارسل ايزنهاور تحذيرا ثانيا الى بن جوريون يقول : **لا تفعل شيئا يهدد السلام .**

ولكن الغزو الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى وقع . وقدم سير همفرى تريفليان السفير البريطانى فى القاهرة انذاره الى الحكومة المصرية بالانسحاب مسافة ١٠ أميال من القناة . رفضت مصر ، وقررت أن تحارب ولم يتحطم عبد الناصر بل ازداد قوة بالتفاف الشعب المصرى والعالم العربى والرأى العام العالمى حوله .

وقرر ايزنهاور وقف مساعداته للدول المعتدية .

وارسلت الحكومة السوفيتية رسائل الى ايدن وموليه وبن جوريون فسرها الكثيرون بانها تحمل تهديدا بضرب العواصم الثلاث بالصواريخ . وزاد الضغط الأمريكى لوقف اطلاق النار . وتم وقف اطلاق النار فى ٧ نوفمبر .

ووقف بن جوريون أمام الكنيست يعلن ان سيناء تاريخيا جزء من اسرائيل وانها تنوى الاحتفاظ بها . وتحدث عن شرم الشيخ فقال أن الجيش الاسرائيلى قد (حررها) .

وجرى ضغط متبادل بين أمريكا واسرائيل وصفه بارزوهار بقوله : أن الرد الغامض من بن جوريون على طلب ايزنهاور بالانسحاب كان فى حقيقته مقدمة لصراع دبلوماسى حاد استمر اربعة اشهر كان هدف بن جوريون منه الاحتفاظ بقليل من ثمار انتصاره .

واخيرا اتخذ بن جوريون فى ضوء ظروف الموقف الدولى ، الذى تشابك فيه الضغط الامريكى بالضغط السوفيتى بادانة الرأى العام

العـالمى ، بتصميم مصر على استرداد اراضيها ٠٠ ، اتخـذ قرار الانسحاب الذى قال عنه لبارزوها : **انه اشد القرارات التي اتخذها ايلاما فى حياته .**

ثم الاحت نتائج الغزو ...

● **فى تل أبيب اعترف بن جوريون انه لـم يحقق شـيئا مما أراده من حرب السويس ؛ ومن الصراع السياسى الذى استمر بعدها لمدة أربعة أشهر مع الولايات المتحدة والأمم المتحدة .**

● **فى لنـدن كان ، ايدن أول من سـقط من زعمـاء حملة السويس . حـدث ذلك فى ٩ يناير ١٩٥٧ عند ما اعتزل الحيـاة السياسية .**

● **فى باريس كان موليه الثانى ممن سقطوا وكان ذلك فى يونيو من نفس العام .**

● **في واشنطن توفي دالاس في مايو ١٩٥٩ .**

● **فى تل أبيب خـرج بن جـوريون أيضـا من منصبه عام ١٩٦٣ .**

● **فى القـاهرة ظل عبد النـاصر فى مكانه وارتفعت مكانته بصورة مذهلة فى مصر والعالم العربى والعالم كله .**

يقول لف ان حرب ١٩٥٦ ــ من وجهة النظر الإسرائيلية ــ استخدمت بروفة لحـرب ٦٧ . وكمـا قال مردخاى هود قائد الطيران الاسرائيلى أن اعداد إسرائيل لحرب ١٩٥٦ استغرق سنة وتخطيطها لحرب ١٩٦٧ استمر ١٦ سنة .

وفى عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ كانت اسرائيـل تعـانى متاعب اقتصادية ، وبن جوريون مؤسس حزب الماباى انشق عام ١٩٦٥ على الحزب وكون حزب رافى الذى اشترك معه فى انشائه بعـض أنصاره مثـل ديان ، وفى ربيع ١٩٦٧ وصلت الهجـرة الى نقطة

الصفر ونتيجة للركود الاقتصادى أصبح حوالى ١٠ فى المائة من القوة العاملة فى حالة بطالة ٠

ويرى لف أن اسرائيل سعت فى عام ١٩٦٧ كما فعلت عام ١٩٥٦ لخلق جو ملائم للحرب ؛ خاصـــة بالتصرفات الاسرائيلية العنيفة التى تثير ردود فعل عربية والمؤكد أن أطماعها الاقليمية — كجزء من خططها الحربية — كانت مرتبة منذ وقت طويل ٠

ويقـــارن المؤلف بين الموقف الأمريكى من حــربى ١٩٥٦ - ١٩٦٧ ٠

يقول : ان موقف واشنطن اختلف فى الحالتين ٠٠ فبدلا من ابحار الأسطول السادس الى الاسكندرية لاجلاء الرعايا الإمريكيين فانه تحرك بالقرب من الشاطىء المصرى فى الوقت الذى كانت الحرب تقترب فيه ؛ لضمان المحافظة على اسرائيل مهما حدث ، وشعرت المخابرات الأمريكية بالارتياح نتيجة الحرب ٠

وفى عام ١٩٥٦ كـــان ليندون جونســـون — عضـــو مجلس الشيوخ يقف بقـوة وراء اسرائيـــل ويعارض ايزنهاور ؛ وفى عام ١٩٦٧ كان الرئيس جونسون هو الذى يوجه السياسة الامريكية الموالية لاسرائيل ٠

والاختلاف فى السياســـة كان يعكس الخلاف فى الفلســـفة السياسية للرئيسين فأيزنهاور يرفع المبدأ فوق ممارسة السلطة ٠ وجونسون يضع الســـلطة قبـــل المبادىء المســـلم بهـــا وهى الحق والعدل والسلام ٠

وبالنسبة للثانى فان أصـوات اليهود تسهل الوصـــول الى السلطة فى أمريكا ، وقوات اسرائيل المقاتلة تعنى القوة فى الشرق الأوسط ٠

وعند ما نشبت حرب ١٩٦٧ عطل جونسون الضغط من أجل

وقف اطلاق النار حتى أكملت اسرائيل انتصارها . وبعد الحرب ألقى جونسون اتفاقيات المساعدات مع مصر وساند حملات جمع المساعدات الخاصة لدعم اقتصاد اسرائيل ؛ وتحويل نفقات احتلال الأراضي العربية وشجعت الولايات المتحدة حركة المتطوعين الأمريكيين لسد الفجوة في جبهة العمل الداخلية بسبب التعبئة العامة ، وتجاهل جونسون التزام الولايات المتحدة بالمحافظة على استقلال ووحدة أراضي دول الشرق الأوسط · وعندما قام الاتحاد السوفيتي بتعويض العرب عن الأسلحة التى فقدوها فى الحرب ، دخلت الولايات المتحدة سباق التسلح الى جانب اسرائيل ·

وأخيرا يصل كينيث لف الى هذه النتيجة ·· ان اسرائيل حاربت عام ١٩٤٨ من أجل الأرض التى وجدت عليها ولم تكن هذه الأرض تكفى لنمو وتخلو من المصادر الطبيعية ومن الماء ولا تتيح امكان استخدام المنافذ التجارية فى خليج العقبة ؛ ولا توجد بها القدس القديمة ـ حلم الصهيونية . وفى عام ١٩٥٦ تحركت اسرائيل بدافع من هذه الاعتبارات الجغرافية ولكنها لم تنجح فى كسب أراض جديدة · وفى عام ١٩٦٧ حاربت مرة أخرى للاستيلاء على الأراضى التى أرادت الحصول عليها عام ١٩٥٦ وفشلت .

والدرس الذى يمكن استخلاصه من حرب ١٩٦٧ كما يقول لف هو ان حرب فلسطين التى نشبت ثلاث مرات ـ لن تنتهى ما دامت اسرائيل ستظل مركزا للحركة الصهيونية العالمية · واسرائيل التى ولدت بالسيف · وعاشت به · لا يمكن أن تأمل بعد الآن فى السلام حسب مطالب الصهيونية وسوف يكون عليها أن تستمر فى العيش بالسيف الا اذا ـ هلكت بالسيف أيضا · وقد عبر بن جوريون عن هذه الحقيقة أمام الكنيست عام ١٩٥٧ فقال ان كل نصر قد تتبعه معركة أخرى ونظريا ـ فان النصر النهائى يمكن أن يكون ضدنا اذا هزمت القوات الاسرائيلية ·

اليوم السابع

الساعات الأخيرة ، فى حرب الأيام الستة ، توقفت عند لحظة تاريخية يبدأ بعدها اليوم السابع .. الذى لم يبدأ بعد .. هذه الساعات كما يقول روبرت جاكسون فى كتابه : (قصة القوات الجوية الاسرائيلية) شهدت عددا من أشد المعارك شراسة فى حرب يونيه ١٩٦٧ ويمضى جاكسون المعروف بعدائه الشديد للعرب فى رواية القصة : فيقول :

ان الجنود المصريين قاتلوا بشجاعة انتحارية . ومن بين ٩٦٠ دبابة مصرية اشتركت فى المعركة ، وقعت ١٠٠ دبابة فى أيدى الاسرائيليين .. والبقية قاتلت بعنف حتى دمرتها (فى غياب غطاء جوى مصرى) المدرعات ، أو المدافع المضادة للدبابات . وما بقى من الطائرات المصرية اندفع يضرب الاسرائيليين بتصميم بالغ العنف ، وانزل بهم خسائر جسيمة ..

ولكن شجاعة الطيارين المصريين لم تكن وحدها كافية . فطائرات الميراج والميستير الاسرائيلية كانت منتشرة فى كل مكان ومع ذلك لم تمض الأحداث كما أرادت اسرائيل خلال المراحل النهائية من الحملة الاسرائيلية ، فقبيل حلول ليل يوم الخميس ٨ يونيه ، عقب استيلاء القوات الاسرائيلية على القنطرة ، صدرت الأوامر الى الطائرات النفاثة الاسرائيلية بمهاجمة عدة تشكيلات من الدبابات المصرية كانت تقاتل بشراسة عند محور الاسماعيلية .

وهاجمت الطائرات الاسرائيلية المصريين بعنف . ولكن كان

عليها أن تهاجم وهى تتعرض لعاصفة من النيران المضاده للطائرات تنطلق بتصويب دقيق واستطاعت أن تدمر ثلاث طائرات أورجانز وطائرتى ميستير . وعندما توقف اطلاق النار يوم السبت ١٠ يونيه كانت القوات الجوية الاسرائيلية قد خسرت ٤٠ طائرة من مختلف الأنواع أثناء المعارك و ١٠ طائرات أخرى بعضها وصل الى قواعده مصابا وتحطم أثناء الهبوط على أرض المطار ، والبعض الآخر لم يعد يصلح الا كقطع من الخردة .

وفى نهاية اليوم السادس تاهت وطأة الاحساس بالخسائر وسط جو التهليل المنفعل ، الذى اجتاح اسرائيل بعد انتصارها والكل هناك يتصور وكذلك قادة الجيش الاسرائيلى ، أن حرب الأيام الستة قد أنهت النزاع مع العرب ، ولم يتصور أحد أنها كانت البداية .

هذه صورة الساعات الأخيرة فى حرب الأيام الستة .. وأحداث أيامها الأخرى لا تختلف عن ذلك كثيرا . ولعل أبرزها معركة بير جيفجافا .

فى يوم الأربعاء ٧ يونيه .. كانت الفرقة المدرعة الاسرائيلية تتقدم فى اتجاه الاسماعيلية ، مرورا ببير جيفجافا ـ هدفها الأول . ووجدت سيلا من النيران العنيفة يتساقط عليها من مجموعة من الدبابات المصرية طراز ت ـ ٥٥ .

ودارت معركة تبادل خلالها الجانبان القذائف . ثم ظهرت مجموعتان من الطائرات ميج ١٧ راحت تقصف الاسرائيليين . وبعدها جاءت طائرات ميستير الاسرائيلية ووقع اشتباك جوى أسفر عن سقوط طائرة مستير .

وأوضحت المعركة أنه برغم أن الطيران المصرى الذى دمرت غالبيته فى صباح ٥ يونيه لم يعد فى مركز يسمح له بتحدى التفوق الجوى الاسرائيلى ، فانه لا يزال قادرا بما بقى معه على أن يضرب .

ولكن الطـــائرات الاسرائيلية ـ التى كانت قد انفردت بجو سـيناء بعد غاراتهـا على المطارات المصريه فى ٥ يونية ـ واصلت ضرب المصريين فى بير جيفجافا ، وفى الليل مع عدم وجود الطيران الاسرائيلى ، قام المصريون بهجوم مضاد بالغ العنف بدبابات ت ٥٥ وانتصر المصريون ـ على حد تعبير جاكسون نفسه ـ على الكتيبة الاسرائيلية ووجهوا اليها ضربة قاسية مؤلمة ٠

وبسرعة وصـــلت تعزيزات اسرائيلية ثم جاءت الطـــائرات استجابة لنداء عاجل لنجدة الاسرائيليين ، وراحت تلقى قذائفها ٠ وتبعتها دبابات سـنتوريون ٠ وفى النهـاية انسحب المصريون من الموقع ٠ وهكذا تغيرت نتيجة المعركة لانفراد الطـائرات الاسرائيلية بجو سيناء وافتقار المصريين لأى غطاء جوى ٠

ان معركة بير جيفجافا تؤكد امكان هزيمة اسرائيل عسكريا، وهو ما تحاول اسرائيل تصويره على أنه أمر مسـتحيل ٠٠ ولكنه حدث عندما تمت مواجهة بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وفى لحظات غاب فيها طيران الجانبين وكل أحداث الأيام السـتة تؤكد هذه الحقيقة ٠

ولنتحرك مع الأحداث من بدايتها ٠٠

الأحداث تقترب من ذروتها بسرعة مخيفة ، بينما الحـرب الدبلوماسية مســتمرة فى الأمم المتحدة وفى عدد من عواصـم العالم ٠ السفن الحربية الأمريكية والبريطانية تتحرك بهدوء فى البحر المتوسط الى مواقع قريبة من نقطة الأزمة ٠ طائرات شركة العال الاسرائيلية تنقل السياح والرعايا الأجانب الى خارج اسرائيل ٠ وتجلب فى نفس الرحلة اعدادا كبيرة من المتطوعين من دول أخرى وخاصة من الولايات المتحدة ٠

وبهدوء أيضا ٠٠ تجرى استعدادات القوات الجوية الاسرائيلية

للحرب فليست هناك حاجة لمناورات جوية اسرائيلية في آخر لحظة فان كل تدريبات القوات الجوية الاسرائيلية خلال السنوات الخمس السابقة لعام ١٩٦٧ كانت تعتمد على أنها قد تشـــن يوما هجوما مفاجئا واسع النطاق على مطارات مصر ، ودول عربية أخرى وفي الأسبوع الأخير من مايو ١٩٦٧ وافق البيريجادير مدخاي قائـد القوات الجوية والجنرال عازر وايزمان رئيس العمليات على خطـة العمليات للقوات الجوية الاسرائيلية وتدعو الخطة لمهاجمة المطارات المصرية .

ويقول روبرت جاكسون ان اسرائيل اعتمدت في نجاح عملية ضرب المطارات المصرية على عنصرين : المفاجأة ، دقة التوقيت .

فالموجات الثلاث من طائرات الميراج التي اختيرت لضرب القواعد المصرية الرئيسية حددت لها مسافة زمنية حجمها عشر دقائق بين كل منها . بحيث تكون فترة الهجوم على الأهداف ٢٠ دقيقة . وهذا يعني ان الموجه الثالثة تتشـــكل فوق قواعدها وتتحرك في نفس اللحظة التي تكون فيها الموجة الأولى قد هاجمت أهدافها في حين تكون الموجة الثانية في طريقها فوق الساحل المصري .

وتستغرق فترة وجود كل موجة فوق هدفها ٧ دقائق قبل العودة الى قاعدتها حيث أن الطاقم الأرضي في المطار قد خصص سبع دقائق لاعادة تزويد الطائرة بالوقود واعادة تسليحها لهجوم ثان .

وقد كان أسلوب عنصري المفاجأة ودقة التوقيت هدفا أيضا في عام ١٩٥٦ فقبل حرب ٥٦ كانت كل تدريبات وخطط الطيارين الاسرائيليين تقوم على هدف واحد : التدمير المفاجيء للقوات المصرية والا تستمر الحرب أكثر من أسبوع واذا استمرت أكثر من ذلك ، واشتبكت القوات البرية الاسرائيلية في قتال مع المصريين ، فلا احد يعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك ــ حسب تعبير جاكسون . والذي حدث أن المصريين قاتلوا بشجاعة حتى النهاية قبل قرار الانسحاب

عام ١٩٥٦ وأثناء المعارك خسرت اسرائيل عددا من الطائرات أكبر مما خسرت مصر أى ١٨ طائرة مقابل ١١ ·

المهم أن تخطيط العملية كلها كان يعتمد على المفاجأة التامة ·

وكذلك كان تخطيط ١٩٦٧ ·

مساء السبت ٣ يونية أبلغ موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى مجلس الوزراء باستعدادات اسرائيل العسكرية · وفى ٤ يونية وافق المجلس على خطة الحرب التى كانت تتضمن تخويل رئيس الوزراء أو وزير الدفاع سلطة اصدار الأوامر ببدء هجوم اسرائيل شامل فى اللحظة التى يختارها هو ·

كانت هذه اللحظة ـ هى الساعة الثامنة وخمس وأربعون دقيقة من صباح الاثنين ٥ يونيه ·

عندما وجهت الطائرات الاسرائيلية حسب الخطة الموضوعة ضربة جوية مفاجئة على المطارات المصرية فى القاهرة ·· وفى كل مكان · وفى هذه اللحظة تحددت مقدما نتيجة الحرب التى قاتلت فيها القوات المصرية بغير غطاء جوى فوق أرض سيناء المكشوفة ، ضد قوات اسرائيلية تحتمى بمظلة من الطائرات تنفرد وحدها بحرية العمل فوق صحراء سيناء ·

وتتابعت الأحداث ·· تصـــور ـ على لســـان جاكسون ـ ما حاولت اسرائيل اخفاءه عن العالم من استماتة المصريين فى القتال برغم عدم تكافوء الظروف ومن الخسائر التى لحقت بجنودها فى كل خطوة لهم طوال حرب الأيام الستة .

فى اليوم الأول بعد غارة الطـائرات الاسرائيلية على مطارات مصر فى الصباح واصلت الطائرات الاسرائيلية هجماتها على المطارات المصرية عبر القناة وأصابت الموجة المدمرة الأولى أهدافها وأفلتت ·

ولكنها خلقت حالة من التحفز لدى الدفاع الجوى المصرى المضـــاد للطائرات ، أدى الى اصـــابة الموجات التالية بخسائر نتيجة نيران المدفعية المضادة العنيفة .

ومن خلال سرد جاكســون لغارات الطائرات الاسرائيلية فانه يكشف عن واقعة توضيح تواطوء الولايات المتحدة مع اسرائيل ، فى وصفه للغارات على الأردن يقول ان الطائرات الاسرائيلية تلقت أوامر بالهجوم على قاعدة المفرق الأردنية وتعليمات مشددة بالتزام الحذر وهى تختار الطائرات التى ســـتهاجمها ، لأنه كان معروفا أن بعثة أمريكية ، تستخدم مطار المفرق فى تدريب طيارين أردنيين على قيادة طائرات (ستار فايتر) وأن البعثه تتكون من ١٠٠ شـــخص منهم عشرة من مدربى الطيران . والباقون من الفنيين وكان معهم طائرتان ستار فايتر ف ــ ١٠٤ ــ ١ بمقعد واحد . وثلاث طائرات ف ــ ١٠٤ ــ ب بمقعدين .

وبرغم أن هذه الطائرات تحمل علامة أردنية ، فانها لا تزال مملوكة للقوات الجوية الامريكيه ، وتخضـــع لســـيطرة الســـفير الامريكى مباشرة .

وعندما وصـــل الطيارون الاسرائيليون الى المفرق ، كانت الطائرات (ستار فايتر) قد رحلت . وكان المدربون الأمريكيون قد طاروا بها الى قاعدة حلف الاطلنطى فى كيجلي بتركيا ، قبل الهجوم بست وثلاثين ساعة . وهو ما يوضح أن المخابرات الامريكية تلقت رسالة تفيد أن الهجوم الاسرائيلى أصبح وشيكا . كذلك كان باقى الفنيين المائة قد رحلوا فقد نقلتهم طائرة نقل طراز س ١٢٠ .

فى نفس الوقت الذى وقع فيه الهجوم الجوى الاسرائيلى كانت القوات البرية تتحرك وبدأت الموجـــة الأولى من القـــوات البرية الاسرائيلية تتحرك تجاه الحدود مع غزة .

وكانت قذائف المدفعية المصرية فى المنطقة الدفاعية فى رفح تلقى قذائفهـا على الدبابات الاسرائيلية المتقدمة ، والمدفعية المصرية فى خان يونس تمطر الدبابات الاسرائيلية ٠

لم تكن القـوات الإسرائيليـة تتحرك على أرض سـهلة ـ فالمصريون انزلوا بها ضربات قاسية برغم دعم الطيران لها ـ كمـا يروى جاكسون فى وصفه للمعارك التى دارت بين الجانبين ٠ ونحن نستخدم هنا نفس تعبيراته بدون أى تغيير ٠

ففى رفح دار قتال قاس حول نقطة التقاء الطرق الاستراتيجية المؤدية الى سيناء واصيب الاسرائيليون بخسائر فادحة ٠ واستدعيت الطـائرات فوجا ميستير للاغارة على المدفعية المصرية ولكنها فشلت فى تدمير بطاريات هذه المدفعية ، وكان أفراد أطقم المدفعية يحتمون فى الخنادق عندما يسمعون اصوات اقتراب النفاثات ٠ ثم يظهرون مرة أخرى لاتخاذ مواقعهم القتالية عند ابتعاد الطائرات ٠

تقدمت القوات الاسرائيلية عن طريق الشـيخ زويد ، نحو العريش بينما التشكيلات المدرعة الأخرى ، تشتبك فى معارك ضارية مع المصريين عند الجناح الجنوبى لمنطقة الدخول الى سيناء ٠

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر وصلت قوة اسرائيلية تتقدمها دبابات سنتوريون الى مشـارف العريش بعد قتال عنيف مع قوة مصرية محصنة تحصينا قويا عند ممر جيردان وعندما وصلت باقى القوات المدرعة كان الوضع قد تغير ٠

فقد سد المصريون ممر جيرادى وأصبحت الدبابات الاسرائيلية هـدفا لوابل من النيران العنيفة ٠٠ وبرغم الضربات الجوية من طائرات ميسـتير وأوراجانزا ، لم يسـتطع الاسرائيليون زحزحة المصريين عن مواقعهم ٠ وعند منتصف الليل وصلت كتيبة مدرعة واستولت على الموقع بعد قتال وحشى ٠

وحتى عندما احتلت القوات الاسرائيلية مطار العريش فانها لم تستطع ذلك الا فى الساعة الرابعة صباحا وبعد معركة قاسية ٠

عندما كانت القوة المدرعة تتقـدم نحو العريش كان لواء من دبابات سنتوريون يتحرك عبر الحدود ويتقدم فى الصـحراء نحو نقطة مفترق الطرق الحيوية عند بير لخمان بهدف اغلاق الطريق أمام أى تعزيزات مصرية تأتى من ناحية جبل لبنى ٠ ووصلت ٢٤ دبابة لتجد نفسها تحت امطار من نيران المدفعية المصرية تصـوب اليها بمنتهى العنف ، وبتصـويب محكم وأثناء الليل جاء طابور دبابات مصرية ت ــ ٥٥ من اتجاه جبل لبنى ٠ ودار قصف استمر طول الليل بين الجانبين واختار الاسرائيليون الانتظار وعدم خوض معركة حتى يشرق الفجر ويمكنهم طلب دعم جوى ٠

فى أبو عجيلة حشدت اسرائيل قوة مدرعة كبيرة اشتبكت فى قتال مع المصريين ، وبرغم انزال قوة مظلات بطائرات هليوكوبتر وراء مؤخرة المصريين فان آخر الطلقات لم تتوقف الا بعد ظهر اليوم **التالى لبدء القتـال بعد معركة مجمومة ٠ ونتيجة تدخل ــ الطيران الاسرائيلى ٠**

كان التسـابق يجرى نحو ممر متلا يوم الأربعاء بين طابور مصرى وبين كتيبة اسرائيلية مدرعة وأثناء التسابق نقصـت قوة الكتيبة من ٢٦ دبابة سنتوريون الى تسع دبابات ٠ وأثناء الليل وصلت وحدات اسرائيلية الى مدخل ممر متلا وعززت عملية اغلاقه ٠ وعند الفجر كانت الدبابات الاسرائيلية فى موقف يائس حيث كادت ذخيرتها ووقودها أن ينفدا ٠

ووجد الاسرائيليون أنفسهم مشتبكين فى قتال أليم ٠٠ مع قوة مصرية تشمل ٢٨ دبابة ت ٥٤ جاءت من ناحية الشرق ٠ ولم

ينقذهم ســـوى وصـــول ثلاث مجموعات من الطائرات اوراجانز انقضت على المصريين بالنابالم والصواريخ والمدافع .

هـــكذا دخل المصريون كمـــا يقول جاكســـون **معارك عنيفة ـ قاسية ـ ضارية ـ شرسة ، وأسقطوا في هـــذه المعارك ٢٠٪ في المائة من طائرات اسرائيل بينما خسرت مصر غالبية قوتهـا الجوية بضربة مفاجئة على الأرض وليس في معارك جوية .**

وهكذا أيضـــا انتهت حرب الأيام الستة .. واخـــذ الموقف العســـكرى في الجانبين يتغير بسرعة على جانبى القناة خلال الفترة التى تلت اليوم السادس والســـابقة لليوم السابع الذى لم يأت بعد .. والذى سيقرر مصير كل الأوضاع القائمة الآن بين طرفى النزاع في الشرق الأوسط .

ويعرض روبرت جاكســـون في كتابه التغييرات الهامة التى حدثت خلال هذه الفترة وأهمها .

أولا : بدأت طائرات الفانتوم وســكاى هوك الأمريكية تتدفق على اسرائيل . وكان ١٢ طيــارا اسرائيليا قد وصلوا الى قاعدة جورج الجوية في كاليفورنيا للتدريب على قيادة الفانتوم وفى الفترة من وقف اطلاق النار في يونيه ١٩٦٧ الى نهاية ١٩٦٩ كانت الطـــائرات الاسرائيلية قد قامت بـ ٢٧٠٠ غارة فوق منطقة القناة .

ثانيا : في سبتمبر ١٩٦٨ اعلن مردخاى هود قائد القوات الجوية الاسرائيلية في مؤتمر صحفي أن القوة المقاتلة للقوات الجوية المصرية ، قد قفزت الى مســـتواها قبل الحرب وان الطائرات المقاتلة الأقدم طرازا قد حل محلهـــا احدث طراز ميج ٢١ وسوخوى ٧ .

ثالثا : تحسنت تدريجيا بغير شك نوعية الطيارين المصريين عامة . وظهر ذلك فى سبتمبر ١٩٦٨ ، عندما فاجأت أربع طائرات ميراج اسرائيلية أحد الطيارين . وهو فى مهمة استطلاعية على مستوى طيران منخفض فوق الضفة الشرقية المحتلة للقناة .

واطلقت الميراج صواريخ جو - جو على طائرة السوخوى . ولكنها اخطأتها ثم اطلقت عليها نيران مدافعها . وبعد عدة دقائق من مناورات بارعة من الطيار المصرى استطاع الافلات سالما والعودة الى قاعدته بالصور التى التقطها . وفى الحال منح أعلى وسام عسكرى مصرى .

رابعا : خرجت القوات الجوية المصرية منتصره فى معركة جوية غرب القنطرة فى ٣ نوفمبر ١٩٦٨ . عندما توغلت أربع طائرات ميراج فى المجال الجوى المصرى واعترضتها أربع طائرات ميج ٢١ . وبعد اشتباك عنيف استمر خمس دقائق اصيبت طائرة من كل جانب . ثم عادت الميراج الى الضفة الشرقية . وأثناء عودتها انطلقت مدافع المصريين المضادة للطائرات بعنف ، فانفجرت طائرة اسرائيلية فى الجو على بعد نصف ميل من القنطرة .

خامسا : فى ربيع ١٩٦٩ اعيد تنظيم الدفاع الجوى المصرى بصورة أساسية وبدأت سياسة القوات الجوية المصرية تتغير بسرعة من الدفاع الى الهجوم بصور متعددة نزعت الخوف من امكان القضاء على القوات الجوية المصرية مرة أخرى بضربة اسرائيلية مفاجئة .

والسياسة الجديدة للقوات الجوية ظهرت فى يوليو ١٩٦٩ أثناء اشتباك بين الطائرات المقاتلة المصرية والاسرائيلية وكان من اعنف المعارك الجوية منذ حرب يونيه ١٩٦٧ .

سادسا : في مواجهة حرب الاستنزاف المصرية ، قامت طائرات الفانتوم الاسرائيلية بغارات بالقرب من القاهرة وواصلت اسرائيل غاراتها في العمق ولكنها خسرت تسع طائرات خلال شهر من ٧ يناير الى ٧ فبراير ١٩٧٠ .

وفى نهاية فبراير تغير الموقف ، فقد عاد الطيارون الاسرائيليون من مهمة استطلاعية بالقرب من القاهرة ومعهم صور مزعجة ، تبين اقامة قواعد لأنواع جديدة من الصواريخ سام ٣ فى مناطق الدفاع عن العاصمة . وأصبح لدى المصريين سلاح قادر على التعامل مع الفانتوم . ويشكل تهديدا خطيرا لمستقبل حركة القوات الجوية الاسرائيلية .

وأدى هذا التطور الى حصر عمليات الطائرة الاسرائيلية فى منطقة القناة وزادت كثافة غاراتها حتى ١٥ مايو ١٩٧٠ عندما كسفت طائرات الاستطلاع الاسرائيلية قيام المصريين بانشاء عدد من مواقع صواريخ سام ٣ فى منطقة القناة نفسها .

ومضت التطورات فى طريقها بأن أصبحت القوات الجوية المصرية ـ كما يقول المؤلف ـ قوية بدرجة تمكنها من الاشتباك مع الطائرات الاسرائيلية وفى نفس الوقت زادت اسرائيل عدد وكثافة غاراتها فوق منطقة القناة لمنع حشود عسكرية مصرية جديدة اعتبرتها المخابرات الاسرائيلية خطوة تمهد لمحاولة اقامة رأس جسر على الضفة الشرقية للقناة .

ولكن الحرب الجوية ـ في رأى جاكسون ـ بدأت تظهر دلائل متزايدة على انها لم تعد حربا من جانب واحد . ففى الفترة من ٢٥ ابريل الى ٥ يونيه قامت الطائرات سوخوى ٧ باحدى عشرة مهمة هجومية فوق سيناء .

وللمرة الأولى خلال ٢٢سنة من النزاع العربىالاسرائيلى ظهر أن القوات الجوية المصرية تتحرك نحو مركز قوة حقيقى ، تستطيع

منه أن تتحدى التفوق الجوى الاسرائيلى • وبسبب وجود صواريخ سام ٣ كان لابد من وقف غارات الفانتوم فى عمق مصر ، وكان لابد أيضا أن تسـفر الغارات الجوية عبر قناة السويس عن خسـائر جسيمة للطيران الاسرائيلى بسبب ارتفاع قوة الدفاع المصرى المضاد للطائرات شهرا بعد شهر •

وقف اطلاق النار

وثيقة أمريكية

هذا اليوم ١٨ ابريل عام ١٩٧٠ ، علامة هامة فى تاريخ الشرق الاوسط .. ونقطة تحول خطيرة ، فى مسار الاحداث التى تلت بعد ذلك .

فى ذلك اليوم تغير الموقف الاستراتيجى لصالح مصر . وانتهى التفوق الجوى الاسرائيلى . وبحث زعماء اسرائيل الموقف الجديد . وانتهوا الى أن عليهم الاختيار بين حل من اثنين :

القيام بهجوم شامل على مصر . أو الوصول الى تهدئة للموقف .

وضغطت أمريكا على اسرائيل لتختار الحل الثانى ، حتى تتفادى مواجهة مع السوفييت . ودفعت الثمن لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار تشترى بها أسلحة أمريكية .

وتسلسل هذه الاحداث والظروف المحيطة بها ، نشرتها مجلة «ميليترى ريفيو» التى تصدرها قيادة الجيش الامريكى . وتضمنتها وثيقة خاصة كتبهـا الكولونيل جيمس بيبودى وتقـول ان يوم ١٨ ابريل عام ١٩٧٠ كان آخر خطوة فى سلسلة من الخطوات بدأت بتصعيد العمليات العسكرية على طول قناة السويس عام ١٩٦٩ .

وبعد هذا اليوم (١٨ ابريل ١٩٧٠) بدأت سلسلة أخرى من الخطوات انتهت الى حالة وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ .
وحتى نستطيع تقييم هذه الحالة وقيـاس احتمالات استمرارها أو

انهيارها ، قامت هذه الوثيقة بتقسيم الاحداث التى مرت منذ نهاية حرب ١٩٦٧ حتى الآن ، الى ست مراحل :

١ ـ **المرحلة الأولى :** عقب انتهاء حرب يونيه ١٩٦٧ مباشرة ، ولم تكن اسرائيل خلال هذه المرحلة على استعداد لاستغلال أى احتمالات للسلام . نتيجة انتصارها فى هذه الحرب .. والسبب انها استرخت عقب الحرب فى انتظار مكالمة تليفونية من القاهرة . تقول .. احضرى حالا نحن تحت أمرك . وطال الانتظار ولم يدق جرس التليفون .

وارتفعت أصوات تعلن الرفض لما تطلبه اسرائيل . وبعد الحرب بثلاثة أشهر عقد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ وصدرت قرارات المؤتمر تعلن : لا تنازلات . ولا مفاوضة . ولا صلح . واشتركت ليبيا والكويت والسعودية فى تقديم أقساط الدعم العسكرى لدول المواجهة مع اسرائيل . ثم جاء قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ وأهم ما تضمنه : الدعوة لانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى التى احتلتها .

٢ ـ بعدها بدأت **المرحلة الثانية** عندما استخلص عبد الناصر نتيجة مفادها ان الجيش الاسرائيلى لا يستطيع الاستمرار فى تحمل أى خسائر فى الارواح حتى ولو كانت على مستوى منخفض نسبيا .

وبناء على هذه النتيجة فتح المصريون فى ٨ مارس ١٩٦٨ نيران المدفعية الكثيفة على طول قناة السويس . ومع حلول عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل قد أصيبت بخسائر كبيرة فى الارواح .

٣ ـ وكانت **المرحلة الثالثة** تتمثل فى الغارات الانتقامية الاسرائيلية على مواقع المدفعية المصرية وصواريخ أرض ـ جو وأخذت الطائرات الاسرائيلية تحلق فى دوريات فوق قطاع يمتد ٣٠ ميلا

غرب القناة حتى تمنع أى حشود مصرية تستطيع تهديد القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة .

٤ - ووقع الخطأ المشئوم من جانب الاسرائيليين **خلال الفترة الرابعة** التى استمرت أربعة شهور ، قاموا خلالها بغارات العمق فوق مصر بالذات بقنابل فانتوم الامريكية .. انهم لسوء حظهم - هاجموا بنشوة غارتهم فى المرحلة الرابعة . وصعدوا الموقف الى غارات العمق . وشعر كثيرون من المراقبين ان الولايات المتحدة اقدمت على تصرف غير حكيم بتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم لغرض محدد . هو غارات العمق .

وفى يناير ١٩٧٠ ، طار عبد الناصر الى موسكو . وطلب من السوفيت صواريخ وطائرات حديثة . ومرت ثلاثة شهور . وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ كان الطيارون الاسرائيليون فى غارة عمق فى القاهرة وشاهدوا ما لم يشاهدوه من قبل .. وكان ما شاهدوه صواريخ سام ٣ تحمل أكبر خطر على حركة الطائرات الفانتوم فى سماء مصر وعاد الطيارون الى قواعدهم يصفون ما شاهدوا ، ومن هذه اللحظة توقفت غارات العمق .

وبسرعة أدرك الاسرائيليون عمق المأزق الذى وقعوا فيه .. وما يترتب عليه من نتائج .

لقد حدث تغيير عاجل فى الميزان الاستراتيجى فى الشرق الأوسط لصالح مصر .

لخسرت اسرائيل سلاحها الاساسى ضد العرب وهو القدرة على نسف ضربة وقائية رادعة ضد مصر ، جوا وبرا .. واذا كان السوفيت قد أرسلوا الى مصر طيارين وطائرات وصواريخ ، فماذا يمنع من ارسالها الى سوريا كذلك ؟

فقدت اسرائيل تفوقها العسكرى على طول قناة السويس .

فلم تعد تجرؤ على ارسال دورياتها الجوية فوق قطاع عرضه ٣٠ ميلا غرب قناة الســـويس لتوجيه ضربة قاضية ضد مواقع صواريخ سام ٣ · وبطاريات المدفعية الجديدة التى تحركت تحت غطاء هذه الصـــواريخ الى القناة ·· ووضعت فى مواقـــع تبـــدأ منها حرب الاستنزاف متمتعة بحصانة الصواريخ ·

هذه النتائج كانت قبل ذلك احتمالا غير مقبول ، لكن سرعان ما اكتشفت اسرائيل انه حقيقة واقعة ·

وللخروج من هذا المأزق ، وجدت اسرائيل ان عليها اختيار أحد بديلين :

● تصعيد شامل للحرب · ومهاجمة مواقع الصواريخ التى يتولى تشغيلها فنيون سوفيت

● أو محـــاولة خلق تهـــدئة مع مصر هدفها تعديل الميزة الاستراتيجية التى كسبتها مصر ·

وفى النهاية بدأت الولايات المتحدة تشعر بالقلق من احتمال حدوث مواجهة بينها وبين الاتحاد السوفيتى اذا اختـــارت اسرائيل البديل الاول · وكان ذلك أول انحراف محـــدد فى سياسة أمريكا عن التطابق مع سياسة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ·

٥ ـ **هنا بدأت المرحلة الخامسة** بتراكم الضغط الامريكى على اسرائيل لتبريد الموقف وخلق هدنة · وللوصول الى هـــذا الهدف قدمت الولايات المتـــحدة فى يونية ١٩٧٠ عن طريق وزير خارجيتها ويليام روجرز مقترحاتها التى عرفت باسم **«مبادرة روجرز»** ·

وحدثت أزمة وزارية فى اسرائيل بسبب هذه المبادرة أدت الى خروج حزب جحل من الوزارة الائتـــلافية · ولم يمنـــع ذلك من استمرار الضـــغط الامريكى ، حتى قبلـــت اسرائيـــل المقترحات

الامريكية . وبعد شهر بدأ تنفيذ وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ . وقررت الحكومة الامريكية ، اعطاء اسرائيل قرضا يبلغ ٥٠٠ مليون دولار لشراء أسلحة أمريكية . ولم يكن متصورا أن تعيد هذه الاسلحة لاسرائيل تفوقها العسكرى ما لم تكن قادرة على القضاء على الصواريخ سام ٣ . ومع ذلك ظلت مسألة شن أى هجوم على هذه الصواريخ تواجه مخاطر عالية .

٦ ــ وجاءت المرحلة السادسة وتشمل حالة وقف اطلاق النار، وهى مستمرة الى الوقت الحاضر . وحرص الاسرائيليون على استمرار هذه الحالة يؤكده عدم اتخاذهم أى خطوة لاستئناف القتال بعد أن أعلنوا مرارا ان مصر انتهكت وقف اطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠.

هنا تطرح المجلة التى تصدرها قيادة الجيش الامريكى ((ميليتري رفيو)) احتمالات استمرار أو انهيار هذه المرحلة ــ مرحلة تبريد الموقف فى الشرق الأوسط وتقول أن القياس الدقيق لهذه الاحتمالات يحتاج الى النظر فى النزاع بين العرب واسرائيل فى اطار التنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

نحن دولة توسعية

في اسرائيل لا تعتبر عبارة «الى أين» سؤالا مطروحا . فمهمة كل اسرائيلى محددة ، وفق مبدأ وصفه موشي ديان بأنه .. «المحافظة على امبراطوريتنا الجديدة والمحافظة على مستوى أدائها العسكرى في ظل فكرة الدفاع الوقائى » .

والدفاع الوقائى .. تعبير تطلقه اسرائيل على مبدأ الهجوم المستمر من أجل التوسع والذى تطبقه منذ قيامها حتى الآن .

هذا المبدأ كان موضوع مناقشات جرت في اسرائيل بعد ٥ سنوات من الحرب . ووسط المناقشة وقفت شخصيات مسئولة تعترف علنا : اننا كذبنا على العالم عندما أعلنا حربنا عام ١٩٦٧ دفاعا عن وجود اسرائيل وبقائها ، فقد حاربنا دفاعا عن أهداف توسعية في يونيو ٦٧ وحتى ٢٥ سنة قادمة .

وفي دراسة خاصة لمجلة تايم الامريكية ، تقول : ان الشعور النسبى بالامن بين الاسرائيليين في غياب وقف اطلاق النار على كل الجبهات ، ساعد على الاعتراف علنا بأن اسرائيل كذبت على العالم عام ١٩٦٧ ، وأنها دولة ذات أهداف توسعية .

بعد ٥ سنوات من حرب يونيو اعترفت اسرائيل بأنها كذبت على العالم ، وانها لم تدخل الحرب دفاعا عن أمتها وبقائها كما تزعم .. ولكن دفاعا عن أهداف اسرائيل التوسعية في يونيو ١٩٦٧ وحتى ٢٥ سنة قادمة .

وكانت بداية هذه المناقشات القرار الذى نشرته الحكومة الاسرائيلية أخيرا (١٩٧٢) والذى يتألف من ٥ فقرات وهو القرار السرى الذى اتخذته يوم ٤ يونيو ٦٧ باشعال الحرب فى صباح اليوم التالى .

والقرار يقول : **ان اسرائيل وهى ترى أن جيوش مصر وسوريا والاردن . تحيط بها وتتأهب للعدوان عليها مهددة بهذا العمل وجود الدولة اليهودية ذاته . تجد أن الحل الوحيد ، هو العمل العسكرى لتحرير اسرائيل من قبضة العدوان التى تشتد حولها باطراد .**

وبعد أن اتخذ مجلس الوزراء الاسرائيلى هذا القرار أعطى **رئاسة اركان الجيش الاذن بأن يحدد موعد ومكان بدء الهجوم .** ولم يمض أقل من ٢٤ ساعة حتى كانت الطائرات النفاثة الاسرائيلية فى طريقها للهجوم على مطارات مصر فى ضربة أولى مفاجئة ، حددت مسار الحرب كلها .

وعندما نشر هذا القرار فى يونيو ١٩٧٢ بدأت بعض الشخصيات الاسرائيلية التى شاركت فى صنعه تكذب التفسيرات التى قدمتها الحكومة الاسرائيلية تبريرا لأسباب اتخاذه . ومن هذه الشخصيات :

● **ماتيتياهو بيليد** — وهو جنرال سابق بالجيش الاسرائيلى — ويعمل حاليا أستاذا للدراسات العربية بالجامعة العبرية ويقول : ان ادعاء الحكومة بانها دخلت حرب يونيو لحماية وجود اسرائيل هو تهويش اخترعته الحكومة ، ثم نفخت فيه بعد الحرب ، ولقد دارت فى رئاسة أركان حرب الجيش الاسرائيلى منذ خمس سنوات مناقشة اشتركت فيها ودارت حول ما الذى كان سيحدث لاسرائيل خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة ، اذا لم نكن قد دخلنا الحرب .. أى أننا حاربنا دفاعا عن أهداف اسرائيل بعد ٢٥ سنة وليس دفاعا

عن وجودها اليــــوم · واذا لم يكن الدفاع عن وجود اسرائيل هو سبب حرب ١٩٦٧ فما هو السبب اذن ؟

وحسب وجهة نظر بيليد أنه من بين هذه الاسباب وقف نمو مركز الاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط لحساب أمريكا واسرائيل معا . وبعد الحرب بدأ يتضح أن الحكومة الاسرائيلية تســير على سياسة توسعية · وتسيطر عليها أوهام بأن الاراضي التي تحتلها اسرائيل ستوفر لها الأمان ·

● **عازر وايزمان** ·· كان نائبا لرئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي أثنـــاء حرب ١٩٦٧ ويعتبر الآن ، وهو في صــــفوف المعـــارضة ، من أكثر الاسرائيلين صراحة في الافصـــاح عن نوايا التوسع الاسرائيلي ·

ويقول : في عـام ١٩٦٧ لم تكن المشكلة هي الخوف من أن وجود اسرائيل يتعرض للتهديد · بل كانت المخاوف نابعة من أن الثقة بين الاسرائيلين في قدرة القـوات المسلحة الاسرائيلية ، هي التي تتعرض للتهديد ·

ويقول وايزمان :

ان القوات المسلحة الاسرائيلية (وهي تواجه التهديد العربي الذي كان يهدد بهدم ثقة الاسرائيليين فيها ، وهو أساس شعورهم بالأمان) وجدت انها اذا دخلت الحرب وكسبتها فان اسرائيل لن تصبح مهددة مرة أخرى '

● **حاييم بارليف** رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي بعــد حرب ٦٧ ووزير التجارة والصناعة الآن يقول : ان دخول المصريين سيناء لم يكن سبب النزاع الذي أدى الى الحرب وان هدف اسرائيل العسكري حاليا وبعد خمس سنوات من الحرب هو عدم التخلي عن

شبر واحد من الارض المحتلة • ومحاولة فرض وقف إطلاق النار على العدو بأسرع وقت ممكن عندما تتجدد الحرب •

وهذه الاعترافات تطرح سؤالا ملحا يقول : هل يوفر هذا التوسع الذى تريده الحكومة الامن لاسرائيل ؟ فى هذه النقطة تقول التايم أن حكومة جولدا مائير مهتمة بالتركيز على أن حماية الوجود الإسرائيلى هى سبب النزاع مع العرب وهى الدافع الى التوسع وهى حريصة على أن يظل هذا الشعور مغروسا فى نفوس الأسرائيليين •

وما لم تفعل الحكومة ذلك فى ظـــل الاحســـاس بأن خمس سنوات منذ الحرب لم تفلح فى اقرار السلام ـ فانها تخشى اتساع نطاق الظواهر الفردية التى بدأت تظهر ممثلة انتهاكا للنمط الخاص للحيـــاة الاسرائيلية ، الذى يتميز بسنـــيادة مطلقة للايديولوجية الصهيونية القائمة على أن ما يحتله الاسرائيليون من أرض هو بمثابة دفاع عن النفس • وهذه الظواهر وصفها الصحفى الانجليزى «اريك ماردسين» بانها تمرد ضد الحكومة ولكنها لا تزال على نطاق صغير بالمقـــارنة بالدول التى تســـمح بحرية الكلام والتصرف فى اطار القانون •

نهاية المطاف

الكثير مما تخططه اسرائيل لتحركاتها الحالية والمقبلة في الشرق الاوسط وما تقوم به من تغييرات في الاراضي المحتلة بقصد ابتلاعها دون اعلان رسمي يعرضـــه موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في كتابه «خريطة جديدة وعلاقات مختلفة» والكتاب ليس مؤلفا متكاملا بالمعنى المتعارف عليه ولكنه عرض لأفكار ديان خلال السنوات التي أعقبت حرب يونية ١٩٦٧ • وببساطة يمكن أن نصفه بأنه يقدم على المكشوف أخطر ما تحمله اسرائيل من نوايا ضد العرب •

يقول ديان في كتابه . في عام ١٩٤٨ كنا ٦٠٠ ألف • واليوم نتحرك نحو استكمال المليون الثالث • وتلك عملية لم تبلغ نهايتها بأي حال • وعلى الجيل الحالي أن يؤمن بضرورة حشد الشـــعب اليهودي هنا • وأن يبذل كل ما في طاقته للتوسع والاستيطان ولا تقولوا هنا نهاية المطاف • علينا أن نتذكر هرتزل نبي الصهيونية • الذي اعتبر الكثيرون دعوته لاقامة دولة اسرائيل بأنهـــا دعوة غير واقعية • فنحن اليوم منتشرون من قناة الســـويس حتى مرتفعات جولان • وأننا نتقدم مرحلة نحو تحقيق الاهداف الكبرى •

وحين يقول أوثانت أن المفاوضات المباشرة مع العرب أمر غير واقعي لان العرب يرفضون الجلوس معكم • فان ردي عليه أنه برغم أن أهدافنا الحالية كانت غير واقعية منذ ســـنوات فنحن الآن — منتشرون عند خطوطنا الحالية مع الدول العربية • وعلينا أن نبقى

عندها وأن نتمسك بمواقفنا حتى يتضح أن مشروع انسحاب اسرائيل بلا سلام هو وحده الامر غير الواقعي .

والسلام الذى يعنيه ديان شيء لا يختلف عن العدوان الذى قامت اسرائيل عليه وكان دائما أسلوب حياتها وديان نفسه يصفه بقوله : «**ان حل مشكلتنا لا يمكن ايجاده الا بفرض السلام عن طريق الحرب**» وهذا الوصف هو أساس تفكير مدرسة بن جوريون ـ وديان أحد تلامذته ـ القائلة بخلق الحقائق المادية والبشرية التى تتحول بعد ذلك الى أمر واقع .

ويشرح ديان أفكاره فى هذه النقطة بقوله : علينا أن نقرر من جانب واحد خطوطا معينة نعتبرها حدودا لنا . ثم نعلن ضم المناطق الواقعة داخلها وعلى سبيل المثال فان ما نفعله فى الجولان اليوم من اقامة مستوطنات يهودية أفضل من اعلان ضمها بقرار من الكنيست لأن الحل فى رأيى هو القيام بأعمال وليس مجرد اصدار قرارات بالضم .

ولقد كانت أهدافنا عام ١٩٤٨ تنحصر فى ايجاد وطن قومى يهودى وبعد حرب ١٩٦٧ أصبح علينا وضع خريطة لأرض اسرائيل .

ويعترف ديان بأن اسرائيل تمثل جسما غريبا فى المنطقة لا يحمل مقومات التواؤم معها . فيقول : اننا نمثل قلبا مزروعا فى المنطقة العربية ، ترفضه الاعضاء الاخرى ، ولا ترضى به ولا مفر أمامنا من استخدام المضادات الحيوية مرارا وتكرارا لان القلب الذى زرعناه هنا بأنفسنا لا يستطيع الحياة فى أى مكان آخر .

وهناك هوة سحيقة تفصل بيننا وبين العرب واتساعها بحجم الفرق بين مانحن مستعدون للموافقة عليه وما هم مستعدون للموافقة عليه . والخلاف الرئيسى قائم بيننا وبين مصر ـ زعيمة العالم العربى

والتى تملك أكبر جيش عربى . والخلاف يتمثل فى مشكلة السيطرة على أراض أعتقد أنه يمكن الاتفاق عليها فى اطار سلام يتضمن تخطيط حدود مصر واسرائيل ، فى أماكن ليست تماما تلك التى يمر بها الآن خط وقف اطلاق النار .

ويطرح ديان موقف العرب — كما يتصوره — لحل الازمة الراهنة فى الشرق الاوسط بقوله : بالنسبة للقدس — أعتقد انهم لن يتمسكوا بالعودة الى نفس الوضع السابق بنفس صورته بالضبط . وفى قطاع غزة — سيكون لديهم استعداد لقبول قوات دولية وسنضطر للانسحاب من هناك . وفى مضيق تيران — أعتقد أنهم على استعداد لمنحنا حرية الملاحة — ولكننا سنضطر للانسحاب من شرم الشيخ مقابل ذلك .

وفى قناة السويس — سيسمحون لنا بالمرور فيها اذا قمنا بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . وفى اطار هذه الحلول ستكون الدول العربية مستعدة لانهاء القتال ، ولكن ليس لاعلان السلام الدائم . وما يرتبط به من اقامة السفارات والتبادل التجارى .

وفى مواجهة هذا التصور يشرح ديان ما تريده اسرائيل ، بأنها تفضل الابقاء على حالة الحرب اذا فرضت عليها شروط ليست على استعداد لقبولها .. وان ما تريده شيء آخر يختلف عن ذلك الوضع الذى كنا عليه بحدودنا القديمة قبل حرب ١٩٦٧ . ان ماتريده هو حدود جديدة ، ونظام علاقات جديدة ، ودولة جديدة .. نريد تغييرات أساسية .. والعرب لا يريدون ذلك .

ولذلك فاستعدادنا للفترة المقبلة لا يلزمنا اعداد مشروعات سلام فحسب . بل أيضا استعدادات للحياة دون سلام ، وعدم التنازل والعناد حتى توضع تسويات تمنحنا الامن وتفرض العلاقات الطبيعية التى تريدها اسرائيل .

ولا أعتقد ان العرب سيكون لديهم استعداد لاحداث تغيرات جوهرية فى علاقاتهم معنا ، نتيجة هزيمتهم فى حرب ١٩٦٧ . وربما اقتصر الأمر على مجرد اصدار تصريحات ما تعلن انهاء حالة الحرب ولكنهم بالتأكيد ليست لديهم النية لاجراء تعديلات جذرية فى العلاقات مع اسرائيل .

ولا يخفى ديان أن موقف اسرائيل لا يوصل أبدا الى السلام عندما يقول : «**ان وجودنا على خطوط وقف اطلاق النار القريبة من القاهرة ودمشق لا يعمل على تقدمنا نحو السلام ، ولو خطوة واحدة.**

« **ولقد أصبحنا نقف بقواتنا على ضفة قناة السويس والمصريون يشاهدون بأعينهم جنودنا على مسافة ١٥٠ مترا** » . وفى صفحة أخرى من كتابه يضيف أن عنصر الآمن لن يؤدى الى تعود المصريين على رؤيتنا فى الاماكن الجديدة التى نوجد بها . بل على العكس فان وجودنا سيكون بمثابة شوكة فى جسدهم لا يستطيعون العودة الى حياتهم العادية اذا لم ننتزع .

وتبقى الحرب هى الحل ــ ولكن ما هو الثمن ؟

« فى الحروب السابقة استخلصنا الشهد من المر . وفى حرب ١٩٦٧ أخذنا القدس ، وعدلنا حدود ١٩٤٧ ، واذا استؤنفت الحرب ، فلست أتوقع شهدا نستخلصه منها حتى لو انتصرنا فيها . وليس لدى أدنى شك فى ذلك . ولن تتحقق لنا أى نتائج حتى ولو وصلنا الى عمان واحتللنا دمشق وعبرنا قناة السويس » .

وتفصح صفحات الكتاب عن استناد هذه الاساليب الاسرائيلية على الولايات المتحدة ــ فان مفتاح الحل السياسى ــ كما يقول ديان ــ فى يد الولايات المتحدة التى تستطيع أن تضغط بالطرق السياسية للوصول الى تسوية ومنع العرب من ايجاد حل بالطرق العسكرية . وفى هذا المجال يطرح عبارات ــ تستحق نظرة متأنية ــ

يحاول بها اخفاء حقيقة ما يجرى فى الخفاء بين الولايات المتحدة واسرائيل .

يقول ديان : ان هناك تساؤلا بالنسبة لعلاقاتنا مع الولايات المتحدة . هل تستمر الولايات المتحدة فى تزويدنا بالاسلحة ، وخاصة الطائرات اذا تعارضت سياستنا مع سياستها فى الشرق الاوسط ؟ وينطبق نفس السؤال على ما اذا عرضت علينا مشروعا للسلام لا نستطيع قبوله . ولقد سألنى أحد الطلبة ذات مرة : هل نحن نتلقى أوامر من أمريكا ، واذا آمرتنا بالانسحاب هل ننسحب؟ وأجبت .. اننا لا نتلقى تعليمات أو أوامر من الامريكيين وهم لا يتلقون أوامر منا . ولو آن ذلك قد يثير كثيرا من القلق . فقد ينشأ موقف لا نقبل فيه أمرا بالانسحاب . وعندئذ يرفض الامريكيون قبول طلباتنا للحصول على الطائرات .. قائلين لنا انكم تسيرون على سياستكم . ونحن نسير على سياستنا » .

وما يحدث الآن لا يتفق فى شىء مع ما يقوله ديان . فالتناقض واضح بين ما يقوله وبين ما حدث بعد رفض اسرائيل مقترحات روجرز فى يونية ١٩٧٠ ونقاط روجرز الست فى سبتمبر ١٩٧١ . فلم تقل الولايات المتحدة للاسرائيليين : لكم سياستكم ولنا سياستنا . بل ولم ترفض تزويدها بالطائرات . والذى حدث أن نيكسون اتخذ قراراته باعطاء اسرائيل شحنات اضافية من طائرات الفانتوم بعد رفضها لمقترحات حكومته .

ومساندة الولايات المتحدة لاسرائيل تدفعها الى العناد وتملأ رؤوس الاسرائيليين بالغطرسة ، وهذا ما يعكسه قول ديان : ان فى اسرائيل شعورا بالقوة يجعل منها صخرة لا تنال منها الامواج والاعاصير ! .

ويتحدث ديان عن خطوط وقف اطلاق النار مع الدول العربية .

فمصر لا تزال كما كانت في الماضي ، الدولة العربية الاولى من الناحية العسكرية ومن حيث انها زعيمة العالم العربي وخط المواجهة معها حسب تقديري أقوي خـط واجهة الجيش الإسرائيلي ودولة اسرائيل منذ قيامها حتى الآن .

والجبهة الشرقية ، كانت دائما موضع اهتمام الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان المصرى الراحل . واذا وقعت الحرب ، فسيهتم العرب بالهجوم من جبهتين ، الغربية (المصرية) والشرقية (الأردن ـ سوريا ـ العراق) ولكن العلاقات بين الدول العربية الواقعة على هذه الجبهة ، تمنع في الوقت الراهن من تبلورها كجبهة متماسكة في مثل صلابة جبهة قناة السويس .

وبالنسبة للمقاومة الفلسطينية فأمامنا العمـل على ضرب منظمة فتح وما يتطلبه ذلك من استدعاء الاحتياطى واقامة الاسوار (وبذل الدماء الغالية) اذ تتمزق قلوبنا لمقتل جندي أو بتر يده أو ساقه .

ويرتبط بمخطط اسرائيل لضرب المقاومة الفلسطينية مخطط لربط الفلسطينيين من سكان الأراضى المحتلة اقتصاديا باسرائيل وجعلهم تابعين لها معتمدين عليها ولا يخفى ديان ذلك عندما يقول ان ما يقرب من ٧٠٠ ألف فلسطيني في الضـفة الغربية والقدس و ٣٠٠ ألف في عزه يثيرون المشـكلات السـياسية والاجتماعية لاسرائيل ، ولقد فشلت كل محاولاتنا لاجراء مفاوضات مع عرب الضفة الغربية ، بشأن المستقبل السياسي لهذه الأراضي .

وهذه الكلمات في كتاب ديان تأتي بعد الخطوات التي بدأت اسرائيل في اتخـاذها لاستخدام قوة العمـل العربية هناك في المشروعات الاسرائيلية لربطهم بها اقتصاديا ، وتأتي قبل الخطوة

التالية لمحاولة ربطهم بها سياسيا ، عن طريق الانتخابات التى قررت اجراءها فى الضفة الغربية .

ويقول ديان أن المشكلة بالنسبة لعرب الضفة الغربية والقدس (٧٠٠ ألفا) ليست فى كيفية طردهم ، بل فى كيفية العيش معهم .

وهو يقترح العمل على الادماج الاقتصادى لهم فى كيان اسرائيل بعد شبكة الكهرباء الرئيسية وأنابيب المياه من اسرائيل الى أراضيهم المحتلة ووضع مشروعات زراعية مشتركة ويقول : ان فى داخل اسرائيل خلافات عميقة فى الرأى حول أهداف المرحلة القادمة فبينما ترى اللجنة السياسية لحزب المابام تجنب أى اجراء من شأنه خلق حقائق مادية كأمر واقع ، حتى لا يكون ذلك عقبة فى طريق السلام ، فان هناك آراء أخرى تنادى بالعمل على خلق أوضاع تختلف بصورة أساسية عن أوضاع ما قبل يونية ١٩٦٧ فى الأراضى المحتلة مثل اقامة المستعمرات اليهودية والادماج الاقتصادى باضعاف اعتماد أهالى الأراضى المحتلة على الدول العربية ، مع العمل على زيادة ربطهم باقتصادنا ولا بأس من أن ـ يتضاعف عدد العمال العرب لدينا ليصبح ٣٠ ألفا .

مرة أخرى يعترف ديان بأن موقف اسرائيل ليس طريقا الى السلام فيقول : كلما كانت التغييرات الاقليمية المطلوبة أكبر . كان استعداد العرب للوصول الى تسوية أقل وعلى العكس يصبح العرب أكثر استعدادا للسلام اذا ابدينا رغبة فى الانسحاب الشامل الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ .

ومشكلة المشاكل امامنا : هل نتعجل الوصول الى السلام . أم ندعم انفسنا ولا نتعجله .

وفى رأيى ألا نكون متعجلين . فالهوة واسعة بين ما تريده وما تريده مصر . واذا كنا فى غير عجلة فالواجب علينا اتباع

أساليب النفس الطويل والصمود في مواجهة متطلبات الامن ، وعمليات مصر العسكرية والفدائيين ونحن واقفون على خطوط وقف اطلاق النار ، خاصة خط مصر المنيع . برغم الثمن الذى ندفعه ففى حرب ١٩٦٧ خسرنا ٣٨٠٠ فرد معظمهم من الجرحى ، وخلال السنوات الثلاث التى اعقبت الحرب ، بلغت خسائرنا فى الافراد ١٦٠٠ ، وهو رقم كبير للغاية كما يتحمل سكان مستعمرات الحدود اقصى الأعباء الجسمانية والنفسية حيث ينامون فى المخابىء منذ ١٩٦٧ .

ومن اقتصادنا أيضا ــ ندفع الثمن . فان الميزانية العسكرية لعام ١٩٧٠ . زادت بمقدار ١٣٠٪ على ميزانية ما قبل الحرب . وهذا يضع قيودا على اقتصادنا ويلحق به أفدح الاضرار .

ثم يتساءل ديان فى كتابة « خريطة جديدة وعلاقات مختلفه » هل يوافق العرب على اتفاق سلام معنا ، بعد ان حشدنا فى اسرائيل مليونين ونصف مليون يهودى . وبعد ان انتصرنا فى ثلاثة حروب ؟

ويجيب بنفسه ان عدد العرب يتزايد وكذلك نفوذهم فى المجال الدولى بالاضافة الى مواردهم البترولية . ويضيف مستشهدا بقول أحد الصهاينة القدامى :

« **ان ما نستطيع الحصول عليه من العرب لا يلزمنا . وما يلزمنا لا نستطيع الحصول عليه** » .

وفى النهاية فان خطوط تفكير ديان لها اهمية قصوى ، باعتباره أدق رمز يجسد تفكير المؤسسة العسكرية الإسرائيلية .

المؤسسة العسكرية الاسرائيلية

التعبير الذى استخدمه البروفسور ج . هوريتز الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط عندما وصف اسرائيل « بثكنة عسكرية » هو ادق تعبير يفسر كل تصرفات اسرائيل . فكل الناس جنود فى هذه الثكنة التى تحمل اسم دولة اسرائيل .. المجندون والوحدات الاحتياطية . وسكان القرى . والجيش نفسه دوره ممتد الى الحياة المدنية . ومن مهامه اختيار سكان قرى الحدود، وتحويل المهاجرين الجدد الى اسرائيليين متشبعين بروح الهجوم . ومحور الدولة هو المؤسسة العسكرية الاسرائيلية التى ترسم السياسة وتطبقها وتغذى هذا الكيان بالمنح والمساعدات من الخارج .

والصورة الشاملة لكافة أبعاد هذه الثكنة ، يقدمها هوريتز فى دراسة قيمة فى كتاب بعنوان (سياسات الشرق الأوسط : البعد العسكرى) والبروفسور هوريتز له خبرة طويلة بالمنطقة من خلال عمله الحالى كأستاذ بجامعة كولومبيا ، واتصاله بقضايا الشرق الأوسط طوال عشرين عاما ، عن طريق عمله كعضو فى معهد دراسات الشرق الأوسط ، ونائب لرئيس المعهد الأمريكى للدراسات الايرانية وعضو فى عدد من الهيئات الدراسية ومراكز الأبحاث . ومن حصيلة هذه الخبرة القى العديد من المحاضرات عن المنطقة ، والف عنها كثيرا من الكتب فى مقدمتها : (الصراع حول فلسطين)، (أزمات الشرق الأوسط) و (الصراع السوفيتى الأمريكى فى الشرق الأوسط) ..

يقول هورتيز ان اسرائيل أوجدت المؤسسه العسكريه الاسرائيلية لتوفر لها أفضل استخدام للخبرات الفنية والاداريه ، وبأقل تكلفة ممكنة فى القوى البشرية والنواحى المالية وتكون قادرة على التعبئة العسكرية العامة ، والتسريح بصورة عاجلة . وأن تعمل على ميل ميزان التسلح لصالح اسرائيل وتتولى فى نفس الوقت ادماج المهاجرين متعددى الجنسيات واللغات فى المجتمع الاسرائيلى، وتوطين الصحراء ومناطق الحدود .

والمؤسسة العسكرية الاسرائيليه تقوم على أركان أساسية هى : الجيش (قوات الدفاع الاسرائيلية) وقوات الاحتياط ، وسكان القرى الزراعية العسكرية (ناحال) ، ووزارة الدفاع التى تتمتع بأوسع السلطات بين هذه الأركان وداخل اسرائيل ككل .

وتكوين قوات الدفاع الاسرائيلية مطابق لأنظمة الجيوش فى أوربا أكثر من مطابقته لنظم جيوش الشرق الأوسط . ويشبه الى حد كبير الجيش السويسرى . وان كانت تكتيكاته وعملياته (هجومية) ـ كما يقول الكولونيل مردخاى بارون مدير التعليم بالقوات المسلحة الاسرائيلية :

جرى تطوير القوات الاسرائيلية على أساس ما ورثته من نظم التنظيمات اليهودية السرية التى كانت تمارس نشاطا ارهابيا فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ . والتى استفادت من أساليب الجيوش البريطانية والأمريكية ، والفرنسية ، والسوفيتية ، بما يتفق مع ظروف اسرائيل .

وأكبر هذه المنظمات (الهاجاناه) (الدفاع) التى تأسست عام ١٩٢١ واتسعت فى السنوات العشر التالية ، وبلغ عدد افرادها عام ١٩٤٨ (٤٥ ألفا) ، ومنظمة الارجون زفاى ليؤمى ، وقامت عام ١٩٣٨ وضمت ٣٠٠٠ شخص ، (لوحامى حيروت اسرائيل) وشكلت

عام ١٩٤٠ من ٥٠٠ عضو ، وتعاونت بعد عام ١٩٤٥ مع الهجاناة ٠

وعندما قامت دولة اسرائيل اعلنت الحكومة انشـــاء قوات الدفاع الاسرائيلية وضمت اليها الارجون ولوحامى حيروت واستمرت المنظمات الأخرى التى تمارس نشاطا ارهابيا صريحا ، مســـتقلة حتى حلت بعد مقتل الكونت برنادوت فى سبتمبر ١٩٤٨ ٠

وتضـــم قوات الدفاع الاسرائيلية ٠ القوات البرية والجوية والبحرية والجيش النظامى (شيروت) ؟ أو القــوات العـــامة ، يتكون من الجندى المحترف والمجند. وتمثل القوات العاملة مايسمى بالقوات الدائمة (شيروت كيفاه) ٠ وتعتمد الخدمة العســـكرية الدائمة على نواة من ضباط وصف ضباط وجنود يكونون الاطار الذى يضـــم المجندين لفترة التجنيد العادية والوحدات الاحتياطية ويتولون مهام القيادة والتخطيط والشئون الادارية ٠

الركن الثابت فى بناء المؤسسة العســـكرية الاسرائيلية هو سكان القرى والمســـتعمرات الاسرائيلية على الحدود ٠ وقد اوجدت اسرائيل مبدأ عســـكريا يدعو الى ادماج ـ الأهداف الايديولوجية والاستراتيجية والاقتصادية للصهيونية فى كيان واحد باقامة قرى محصنة أشبه بالحاميات العسكرية يسكنها أشـــخاص يختارون بعناية ٠ ويتم إعدادهم لاستيطان هذه القرى ويتولى الجيش هـــذه المهمة ٠

تبقى وزارة الدفاع ٠ وهى مســـئولة عن القوات المسلحة الاسرائيلية ووزير الدفاع هو القائد العام للقوات المسلحة وان كان لا يحمل رسميا هذا الاسم ٠ والميزانية السنوية للوزارة لا تناقش فى الكنيست (البرلمان) ويكتفى فقط بموافقة لجان المالية والأمن والشئون الخارجية فى الكنيست عليها وبمقتضى القانون ليســـت هناك حاجة لأن يستشير وزير الدفاع باقى الوزراء ٠ أو يحصل على

موافقة الكنيست قبل اتخاذ قرارات أساسية حتى ولو كان القرار بتعبئة الاحتياطى ٠

واختصاصات وزاة الدفاع متداخله مع باقى الوزارات الأخرى وهى تحتفظ باتصالات دائمة مع وزارات الخارجية والمالية والتجارة والصناعة والزراعة والعمل والتعليم والثقافة ٠

وتملك وزارة الدفاع أجهزة تدير كافة المصالح التى تنتج المعدات العسكرية ٠ وتدير معاهد لتدريب عمال هذه المصانع ٠ وكانت اسرائيل قد حولت جانبا كبيرا من صناعاتها الى الأغراض العسكرية وجلبت علماء وفنيين وخبراء من الدول الصناعية الكبرى واقامت صناعة متواضعة للطائرات فى الستينيات تشمل ٤٠٠٠ عامل ٠

ويعتبر الانفاق العسكرى فى اسرائيل من اعلى المستويات بالنسبة لدول العالم الأخرى كما يقول هوروتيز ٠ وفى عام ١٩٦٧ اعترفت اسرائيل بانفاق نسبة ١١٫٣ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى على النواحى العسكرية وبينما ظهر هذا الرقم فى الميزانية كبند للانفاق على الصناعات العسكرية والأبحاث والأعمال الهندسية فان بعض أوجه الانفاق لم يرد ذكرها وهو ما يعنى ان الرقم أعلى من ذلك بكثير وقد يصل الى ١٤٪ من الناتج القومى الاجمالى أو أعلى من ذلك فى السنة المالية السابقة لحرب يونيه ١٩٦٧ ، وكانت اسرائيل قد خصصت فى منتصف الستينيات نسبة تتراوح بين ١٢ ، ١٤٪ من الناتج القومى الاجمالى سنويا على قواتها المسلحة للتدريب والأبحاث والأعمال الهندسية والانتاج الحربى ولم تعلن اسرائيل عن حجم قواتها المسلحة ٠

ويقول هورويتز ان تكاثر الصناعات العسكرية وتكدس الأسلحة ووجود جيش يضم كل الناس قد حول اسرائيل الى (ثكنة عسكرية) ٠

فى اطار هذه النكبة يعيش الفلسطينيون الذين بقوا هناك حتى بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ .

هؤلاء ينظر اليهم كقوة مضادة محتملة لها وزنها داخل اسرائيل .. وحتى نوفمبر عام ١٩٦٦ ظل الجيش الاسرائيل مسئولا مسئولية كاملة عن ادارة الأراضى التى يقطنها العرب وحسب أرقام ١٩٦٥ كان عددهم وقتها ٢١٢ ألف مسلم ، ٥٧ ألف مسيحى ، ٣٠ ألفا من الدروز ويتولى البوليس المدنى بعد ١٩٦٦ الاشراف على الاجراءات المطبقة عليهم . وبمقتضى قانون الطوارىء الصادر فى عام ١٩٦٥ يحاكم العرب فى المسائل الجنائية أمام محاكم عسكرية بينما يحاكم اليهود لنفس التهمة أمام محاكم مدنية والفلسطينيون سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين مستثنون من الخدمة العسكرية . ولا يمكن لأى منهم أن يصبح عضوا فى مجلس الوزراء وبالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية ، كان العمال العرب فى المدن ضمن أول الذين تعطلوا وفقدوا وظائفهم أثناء كساد ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .

هذا الكيان العسكرى يتغذى وينمو بما يأتيه من الخارج من خبرات وأموال وأسلحة وخلال السنتين الأوليين بعد قيام الدولة اليهود الامريكيون مساعدات بلغت ١٠٠٠ مليون دولار . وفى العشرين سنة الأولى من قيامها أعطاها اليهود والأمريكيون مساعدات بلغت ١٠٠٠ مليون دولار . واشتروا من سندات الحكومة الاسرائيلية ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار واستثمروا حوالى ٢٥٠ مليون دولار فى صناعات اسرائيل وفى نفس الفترة قدمت الولايات المتحدة لاسرائيل مساعدات اقتصادية بلغت ٨٠٠ مليون دولار . نصفها كمنح بغير مقابل .

هذه المنح والمساعدات والخبرات مكنت اسرائيل من تنمية اقتصادها بمعدل يزيد عن ٩٪ فى الخمس عشرة سنة المنتهية عام

١٩٦٥ . ولكن هذا التوسع توقف فجأة عام ١٩٦٦ وعندما أصيبت اسرائيل بأول كساد حاد تعطل معه ١٠٪ من القوى العاملة في عام ١٩٦٧ .

والى جانب ما حصلت عليه اسرائيل من مساعدات اقتصادية أمريكية فانها حصلت فى المجال العسكرى ــ على سبيل المثال ــ على أسلحة قيمتها ٨٠٠ مليون دولار في سنتى ١٩٦٦ و ١٩٦٧ . وفق ترتيبات وزارة الدفاع الأمريكية ، لبيع الأسلحة بقروض وبشروط سهلة .

ومع أن هورويتز يغالط ــ مرة ــ حين يزعم أن التوتر على الحدود دفع اسرائيل الى الدخول في سباق مع الدول المجاورة لها لتسليح نفسها متجاهلا ان الغارة الاسرائيلية الشهيرة على غزة في فبراير ١٩٥٥ هى التى دفعت مصر الى البحث عن مصدر للسلاح وعقد صفقة الأسلحة السوفيتية . ومرة أخرى بادعائه ان العرب بدأو السباق بينما اسرائيل وقعت صفقة سرية لشراء أسلحة من فرنسا عام ١٩٥٤ .. فانه يذكر أن هجوم اسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ كان من أهدافه في المرتين استعادة السبق الاسرائيلى فى التسليح بتدمير الأسلحة السوفيتية لدى مصر أو الاستيلاء عليها ويضيف ان اسرائيل اظهرت فى عامى ٥٦ ، ٦٧ المدى الذى كانت مستعدة لبلوغه فى حماية ميزانها العسكرى وأن واضعى الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية يتصورون أن ميزان القوى يقوم على عدم منافسة الدول العربية لهم فى المستقبل القريب .

ولم يذكر هورويتز صراحة ان التوسع كان من أهداف عدوان اسرائيل فى عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ولكنه أوضح ذلك بشكل غير مباشر حين قال ان حرب ١٩٦٧ قد غيرت سياسات اسرائيل

العسكرية والخارجية . لقد بدا واضحا ان نظام هدنة ١٩٤٩ قد انهار . وفتحت حرب ١٩٦٧ اوجه الاختيار السياسية التى اغلقتها هدنة ١٩٤٩ . ونفضت الأحزاب السـياسية الغبـار عن مبادئها القديمة منذ ما قبل ١٩٤٨ بشأن طبيعة وحجم الدولة التى كانت تأمل فى وجودها مستقبلا . والاحزاب نفسها ليست منفصلة عن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية . فحسب تعبير هورويتز ان الجيش الاسرائيلى بضباطه وصف ضباطه وجنوده لا يمثل جماعه سياسة منفصلة بل يمثل قطاعا متكاملا من كل أحزاب اسرائيل .

وهذا التكوين القائم على شكل ثكنة عسكرية ، يمثل اهمية خاصة ضمن الاستراتيجية الأمريكية ، على مستوى العالم .

نيكسون يتجاوز أسلافه

الأهمية الاستراتيجية لاسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة يتحدث عنها البروفسور برنارد لويس ، استاذ دراسات الشرق الأوسط بجامعة لندن يقول : أن الرئيس نيكسون تجاوز كل من سبقوه من رؤساء أمريكا ، فى تأييد اسرائيل وتقديم المساعدات لها بغير حدود .. تجاوز هارى ترومان الذى اعترف باسرائيل بعد دقائق من اعلان قيامها عام ١٩٤٨ . وتجاوز ليندون جونسون ، الذى كان على علم بخطة اسرائيل للحرب عام ١٩٦٧ ، قبل تنفيذها ، وتابعها بعد التنفيذ خطوة ، بخطوة .. وبارك العدوان، وأيد الاحتلال ، ودافع عنه .

ويطرح برنارد لويس هذا السؤال : لماذا يتخذ نيكسون هذا الموقف ؟

ويجيب على تساؤله ، محللا السياسة الأمريكية واسسها ، ونظرتها للشرق الأوسط ..

حسب منطق الأمور .. كان من المفروض أن يتقرب نيكسون الى العرب أكثر مما يتقرب لاسرائيل .. ولكن الذى يحدث هو العكس . وهذا يدعو للتساؤل عن السبب .

وقد نعثر على اجابة عندما نستعرض وجهتى نظر تترددان منذ فترة فى واشنطن .. عن أهمية اسرائيل للسيادة الأمريكية فى الشرق الأوسط ..

وتبعا لوجهة النظر الأولى ــ تمثل اسرائيل عبئا على الولايات المتحدة وهو عبء يجب أن تتحمله لاعتبارات السياسة الداخلية .. بسبب نفوذ اليهود وتمويلهم الانتخابات ، وأيضا لأن اسرائيل سند يحمى ظهر الولايات المتحدة فى تعاملها مع العرب . وهذا يكسبها ميزة دائمة تحتاجها الولايات المتحدة اذا صادفتها أية متاعب فى الدول العربية .

ووجهة النظر الأخرى تقول :

ان اسرائيل ليست عبئا .. بل رصيدا للقوة .. وحليفا يعتمد عليه ، فى منطقة كل شىء فيها متغير وغير مستقر .

هذا ما يقوله أصحاب الرأى الثانى من الأمريكيين .

ولم يخف انصار هذا الرأى اقتناعهم بوجهة نظرهم .. بل انهم ذهبوا الى أبعد من هذا وراحوا يرددون قولهم : لو ان أمريكا لها أكثر من اسرائيل فى أنحاء العالم الأخرى .. لأحرزت الكثير من المكاسب .!

ولا يخفى أن وجهة النظر الأخيرة هى التى سادت البيت الأبيض فحكومة نيكسون اعطت اسرائيل مساعدات بغير حدود ــ على حد تعبير حكومة تل ابيب نفسها .. فمثلا :

تسلمت اسرائيل ٨٦ طائرة من طراز فانتوم وحده .. منذ انتهاء حرب يونيه ١٩٦٧ وحتى ابريل ١٩٧١ .. بعدها ــ فى عام ١٩٧١ ــ تعهدت الحكومة الامريكية بتسليم اسرائيل ١١٠ طائرات فانتوم وسكاى هوك حديثة .. لتجديد سلاح الطيران الاسرائيلى .

وكشف طيار امريكى لجأ الى السويد فى شهر أغسطس الماضى **أن ١٩٢ طيارا أمريكيا يتولون حاليا قيادة طائرات اسرائيل .. وان**

القيادة العسكرية الأمريكية ٠٠ لا تعامل المجندين الذين يخدمون فى الجيش الاسرائيلى على أنهم غائبون ٠

اعتراف الاميرال ريفـازو القائد الأمريكى فى حلف الاطلنطى ٠٠ بأن احتمالات اشتعال حرب جديدة بين مصر واسرائيل ٠٠ كانت من أهم أسباب اقامة قاعدة للاسطول السادس الامريكى فى ميناء بيريه فى اليونان ٠

قالت صحيفة معاريف الاسرائيلية ان حكومة نيكسون أوضحت انها خصصت منذ توليها الحكم فى يناير ١٩٦٩ اعتمادات لاسرائيل وصلت الى ألف مليون دولار لتمويل عمليات شراء الأسلحة والمعدات العسكرية الأمريكية ٠

وفى شـــهر اغسطس المـــاضى وافق الكونجرس على قرض لاسرائيل قيمته ٣٥٠ مليون دولار لشراء أسلحة منها طائرات فانتوم مقاتلة ٠

وهذا التوســع فى التأييد الأمريكى لاسرائيل ٠٠ صــحبه ــ تشــدد من جانب نيكسون تجـــاه الدول العربية ٠٠ حتى أن الولايات المتحدة اظهرت عدم اهتمام بمهمة جونار يارنج وبمحادثات الدول الأربع الكبرى لحل أزمة الشرق الأوسط ٠٠ بل انهـــا لم تعبأ بأى تهديد من العرب ضد مصالحها الاقتصادية ٠

لمـــاذا ؟

لأن علاقات الولايات المتحدة مع عـــدد من الدول العربية لم تتأثر نتيجة سياستها نحو اسرائيل ٠ ولم يلحق صداقتهـــا مع بعض الدول أى سوء بل أن صداقات جديدة نشأت بينها وبين دول أخرى ــ بعد فتور ــ منها السودان ٠

حتى أن الولايات المتحدة أصبحت مقتنعة بمبدأ يقول : أفضل

لك الا تتودد لهم بل اخلق الظروف التي تجعلهم يتوددون اليك ..

ويقول البروفوسير برنارد لويس، انه كان يسود البلاد العربيه منذ وقت طويل اعتقاد بأن السياسة الأمريكية تجاه مشكلة فلسطين .. تتحدد بتأثير النفوذ — المالى والانتخابى — للطائفة اليهوديه فى الولايات المتحدة وهذا الاعتقاد يمكن أن يكون صحيحا الى حد كبير لو لم يكن للولايات المتحدة مثل هذه الاهتمام الكبير وهذا الدور المباشر فى شئون الشرق الأوسط .

فالى جانب القوى الضاغطة اليهوديه الموالية لاسرائيل ، توجد أيضا مصالح بتروليه كانت تضغط لصالح العرب .. لأن لها مصلحة مباشرة في ذلك .. وهذه أيضا حاولت بذكاء بين الحين والآخر ان تخلق انطباعا بأن السعى وراء المكاسب التى تتحقق من ارضاء العرب يتفق مع المصالح القومية الأمريكية أكثر من السعى وراء أصوات اليهود . الا أن هذه العناصر لم يكن لها من التأثير الفعال مثلما كان للقوى الضاغطة اليهودية .

اما لماذا رجحت كفة الضغط اليهودى فسببه ان دور الولايات المتحدة المباشر كدولة كبرى — فى شئون الشرق الأوسط .. أصبح يتطلب ذلك .

وتسعى القوى الضاغطه الواليه لاسرائيل أو للعرب تزاول نشاطها فى حدود امكانياتها وفى النهاية لا تحدد أى منها سياسة الولايات المتحدة الخارجية .. لأن هذه السياسة هى خلاصة عملية فرز وحساب كافة العناصر المؤثرة بالفعل فى مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة ، وفى العالم ككل ، آخذة فى الاعتبار (١) أن الدول العربية مفككة .

(٢) اسرائيل قوة تمثل رصيدا فى خدمتها والدليل على ذلك — أن الرئيس ايزنهاور اتخذ موقفا قويا ضد اسرائيل عام ١٩٥٦ عندما

وجد أن المصلحة الأمريكية تتطلب منه أن يفعل ذلك حتى ولو كان فى سنة انتخابات .

والعكس فعله نيكسون لأن تقديراته وصلت الى نتيجة خلاصتها أن انحيازه لاسرائيل لن يؤثر على مصالح أمريكا فى الدول العربية .

فالسوفيت اقتنعوا بأن أمريكا مصممة على الوفاء بالتزاماتها نحو اسرائيل الى آخر الشوط . وامتنعوا - بالتالى - عن اثارة مواجهة مع الولايات المتحدة .. أو اتاحة الفرصة للمصريين ليخلقوا لهم الظروف التى قد تتسبب فى مثل هذه المواجهة والمصريون من ناحيتهم - احسوا ان اسرائيل لها حليف يعطيها كل ما تطلبه .

وبالنسبة للمراقبين المتصلين بالموقف فى الشرق الأوسط كانت أمامهم دلالات عن قطيعة تلوح فى الأفق .. فمن ناحية تردد الكلام فى مناسبات متعددة عن خلاف بين القاهرة وموسكو حول وسائل حل النزاع العربى الاسرائيلى . ومن ناحية أخرى كثرت الشائعات بين الحين والآخر - تحملها الانباء من موسكو - عن تقارب محتمل بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل .. واحتمال استئناف العلاقات الدبلوماسية .. من خلال تمثيل فى سفارة الدولة التى ترعى مصالح كل منهما فى الأخرى .. وبعد الكلام والشائعات .. تطورت الأمور الى قرار سحب المستشارين السوفيت من مصر .

أمام هذا التطور .. يسأل برنارد لويس : ما الذى سيفعله الروس ؟

ثم يشرح وجهة نظره .. يقول: من الواضح أن سحب الخبراء السوفيت يمثل نكسة خطيرة لمركز الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط .. وفى العالم كله ولحكام الاتحاد السوفيتى . ولكن

المشكلة تحتاج النظر اليها على ضوء التحولات السياسية للاتحاد السوفيتى . والاحتمالات . المقبلة لسياسته الخارجيه على مستوى العالم كله .

ويبدو أن أهمية مصر للسوفيت قد تضاءلت .. ففى الفترة الأخيرة بدأت نظرتهم لحلف الاطلنطى تتغير .. فلم يعد فى نظرهم الخصم الرئيسي .. وتوقف احساسهم بالخطر الذى نهددهم من الغرب .

ولم تعد المشكلة الآن مع الغرب بل مع الصين .. الخصم الرئيسى ـ حاليا ـ وهذا التحول جزء من التفكير الراهن لواضعى السياسة السوفيتية .

وتبعا لهذا التحول .. تغيرت بالتالى طبيعة المصالح الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الأوسط ، وأخذ اهتمام الاتحاد السوفيتى ينتقل من الجانب الغربى أو من منطقة البحر المتوسط فى الشرق الأوسط .. الى الجانب الشرقى من الشرق الأوسط .. والذى يؤدى الى شرقى وجنوبى شبه الجزيرة العربية . ويمتد الى الخليج العربى والمحيط الهندى .. وفوق ذلك كله ـ الى شبه القارة الهندية . وهى المنطقة التى ينتظر أن تكون فى المستقبل القريب ميدان الصراع الرئيسى بين الصين والاتحاد السوفيتى . وليس معنى هذا انتهاء أهمية البحر المتوسط للسوفيت .. ولكن معناه تعديل فى الاولويات .

الجزء الثالث

الصراع الأمريكي السوفيتي

◆ الفصل الأول ◆

صراع الحرب الباردة

هناك عدد من الخبراء السياسيين والعسكريين في الولايات المتحدة يرى ... أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يسيران منذ أواخر الستينات في طريق ينتهي بصدام بينهما في الشرق الأوسط وانهما استطاعتا تفادي مثل هذا الصدام أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ . ومرة أخرى عام ١٩٦٧ ويتساءل هؤلاء .. ما الذى سيحدث اذا تجددت الحرب بين العرب واسرائيل ؟ .

وهذا التصور لاحتمالات الموقف في الشرق الأوسط ومحاولة تقديم اجابة على هذا السؤال وكانت خلاصة مناقشات جرت في مؤتمر عن الشرق الأوسط عقد بجامعة كولومبيا الامريكية عام ١٩٦٨ . واشترك فيه عدد من الخبراء السياسيين والعسكريين والاقتصاديين المهتمين بشئون الشرق الأوسط والشئون السوفيتية والامريكية في عدد من الجامعات ومراكز الأبحاث والوكالات الحكومية . وبعد انتهاء المؤتمر جمعت هذه المناقشات في كتاب بعنوان (الصراع الامريكي السوفيتي في الشرق الأوسط) قام باعداده البروفسور ج. هوريتز الاستاذ بجامعة كولومبيا .

يحاول هورويتز الاجابة على هذا السؤال

ـ هل تحدث مواجهة أمريكية سوفيتية فى الشرق الأوسط ؟ .

ويجيب من خلال تناول كافة جوانب الصراع الامريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط من بدايته .

وفى سياق حديثه يبرز نقطة هامة حين يقول . أنه يمكن الادعاء بأن سبب سعى الولايات المتحدة للمحافظة على التوازن العسكرى بين العرب واسرائيل هو ابقاء اسرائيل أقوى دولة عسكريا ، من أجل تفادي احتمال جر الولايات المتحدة الى تدخل مباشر فى الشرق الأوسط فى حالة ما اذا أصبحت اسرائيل مهددة بالهزيمة على يد الدول العربية .

على أننا سنعتبر هذه الملاحظة جملة اعتراضية ونتنظر الى الصراع من بدايته كما يراه الخبراء الامريكيون .

الى الجنوب من منطقة الحدود الآسيوية للاتحاد السوفيتى تمتد غربا عبر شمال أفريقيا أغلب دول الشرق الأوسط . تلك الدول كانت هدفا تتطلع اليه الدبلوماسية الامريكية بعد انشاء حلف الأطلنطى عام ١٩٤٩ لاشراكها معها ومع حلفائها فى أحلاف تمتد على طول الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى لتحتويه وتمنع انتشار نفوذه الى المنطقة .

وبعد محاولات انتهت بالفشل أقامت الولايات المتحده المتحدة وبريطانيا ، حلف بغداد فى عام ١٩٥٥ ، والذى اعتبره الاتحاد السوفيتى محاولة لاقامة قواعد عسكرية أمريكية على عتبة بابه الخلفى .

فى نفس الوقت كان الاتحاد السوفيتى قد بدأ مساعيه لاكتساب صداقة العرب بعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣ بتأييد وجهة النظر العربية فى النزاع مع اسرائيل فى الأمم المتحدة .

• وأمام محاولات الولايات المتحـــــدة جر العرب الى جانبها من خلال سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي كان الرد العربي هو الرفض وبخاصة من جانب مصر • ثم حصلت مصر على السـلاح من الشرق عام ١٩٥٥. وبقصد كسر احتكار الولايات المتحدة لسوق الأســلحة الحديثة فى الشرق اولأسط •

ثم كانت أزمة السويس عام ١٩٥٦ نقطة تحول • فالمسئولية الجماعية للدول الغربية الثـــلاث ــ الولايات المتحدة وبريطانيـــا وفرنسا ــ فى حماية المصالح المشتركة للعرب فى المنطقة انتهت • وأصبحت الولايات المتحدة تلعب الدور الاول فى هذا المجال وبرز دورها فى تقديم مشروع ايزنهاور الى المنطقة • وفى انزال قواتها فى لبنان عام ١٩٥٨ • وتطور هذا الدور بأن أصبحت فى منتصـــف الستينات المورد الرئيسى للسلاح الى اسرائيل ــ وواصلت هـــــذا الدور بشكل أوسع بعد حرب يونيو ١٩٦٧ •

فى هذه الفترة ــ وبالتحديد فى أواخر الســـتينات ــ ظهر الاسطول السوفيتى فى البحر المتوســـط كظاهرة جديدة فى وقت كان هذا البحر ينظر اليه فى الولايات المتحـــدة كبحيرة أمريـــكية للأسطول السادس • وبدا أن زيادة قوة الاسطول الســوفيتى فى المنطقة الى جانب شحنات الأسلحة السوفيتية الى الدول العربية ــ تهدف الى اضعاف الاســـطول السادس باغلاق مداخله الى الموانى العربية الهامة • والذى حدث أن ميزان القوى فى البحر المتوســـط قد تغير فعلا نتيجة وجود الاسطول السوفيتى هناك • •

وينبغى أن نلاحظ أن هورويتز وان كان يقـــدم حقـــائق موضوعية • فى الجوانب التى يتناولها فانه ــ أولا وأخيرا ــ يعرض وجهة نظر أمريكية ــ تلقى الضوء كله على تصـــوير ما يجرى فى المنطقـــة على أنه صراع بين مطالب متضاربة للدولتين الـــكبيرتين

فحسب ، متجاهلا ابراز أسس النزاع العربى الاسرائيلى الدائر بين قوى صهيونية لها أهدافها الخاصة فى الاحتلال والتوسع ، والى جانب خدمة الأهداف الخاصة للسياسة الامريكية ، وبين العرب الذين احتلت أراضيهم ويسعون من جانبهم لوقف التوسع العدوانى الصهيونى وتجهيز أنفسهم بالقوة اللازمة لتحقيق هذا الهدف من الاتحاد السوفيتى على أساس نفهمه للحق العربى وعلاقاته القوية بالعرب .

بعد هذا العرض لبداية الصراع فى المنطقة ، ينطوف الكتاب الى دراسة الجوانب الأساسية للصراع الامريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط . ويطرح أربعة جوانب لهذا الصراع ـ هى الصراع من أجل التفوق العسكرى ، والتنافس الاقتصادى ، والتنافس الثقافى ، والعلاقة السياسية بين الدول الكبرى فى الشرق الأوسط .

أولا : الصراع العسكرى فى الشرق الأوسط يتشكل فى صورة لها وجهان .. على أحد الوجهين المركز العسكرى لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وعلى الوجه الآخر ـ السباق العربى الاسرائيلى للحصول على أحدث الأسلحة .

وبالنسبة للوجه الأول فان الولايات المتحدة تربطها معاهدات عسكرية ثنائية مع تركيا ، وايران ، وباكستان ، ولها قواعد عسكرية فى السعودية والمغرب .

ويقابل ذلك أن الاتحاد السوفيتى لا تربطه معاهدات عسكرية مع أية دولة فى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٥ .

ومع ظهور مشكلة فلسطين حصلت الدول العربية ابتداء من عام ١٩٥٥ على أسلحة سوفيتية تقابلها أسلحة من بريطانيا وفرنسا ، والمانيا الغربية لاسرائيل ثم أصبحت الولايات المتحدة

فى منتصف الستينات المورد الرئيسى لاسرائيل . ثم صارت هى والاتحاد السوفيتي يوردان أكبر شحنات من الأسلحة الى المنطقة منذ عام ١٩٦٧ وتحول الشرق الأوسط الى أكبر منطقة مساحة فى العالم النامى وهذا هو الوجه الثانى للوضع العسكرى فى الشرق الأوسط .

يقول المؤلف ان القوة العسكرية الاسرائيلية تمثل حاليا أهم عنصر يؤثر على التخطيط الاستراتيجي والاحتياجات العسكرية لمصر . وفى جو استمرار الحرب الباردة فان الولايات المتحدة ستستمر فى تزويد اسرائيل بالأسلحة .

لقد زودت الولايات المتحدة اسرائيل بمختلف أنواع الأسلحة وأهمها طائرات الفانتوم وأحدث ما أنتجته مصانع الطائرات الامريكية ورد الاتحاد السوفيتي بتسليم مصر أنواعها من الاسلحة الحديثة فى مقدمتها صواريخ سام .

ويطرح هوروويتز سؤالا بشأن ما يمكن توقعه فى السبعينات اذا استمرت الحرب الباردة بين الدولتين الكبيرتين . وفى محاولة لتقديم اجابة فانه يعرض موقف كل دولة .

فالاتحاد السوفيتى سيستمر فى تقديم الاسلحة للعرب ليس لأنه حريص على جناحه الجنوبى . بل لسببين آخرين : فعلى قطاع عريض هناك طلب للسلاح من الدار البيضاء الى داكا . كما أن كسب الأصدقاء يخدم التفكير الاستراتيجي السوفيتى الخاص بتعبئة القوات والرد المرن بايجاد مراكز سوفيتية متقدمة فى البحر ابتداء من شرق الأطلنطى وعبر البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى وخليج البنغال والمحيط الهندى .

والحقيقة التى لم يذكرها هوروتيز هنا ــ ان الاتحاد السوفيتى

حين يقدم الاسلحة للدول الصغيرة فانه ينحرك بدافع من ضرورة دعم مركز هذه الدول فى مواجهة العدوان الذى تنعرض له من الدول الاستعمارية فى العالم على اعتبار أن اتساع خطر هذه القوى يهدد الاتحاد السوفيتى نفسه كما أن نمو القوة البحرية السوفيتية فى البحر المتوسط وغيره يكسر احتكار الغرب لهذه البحار واستخدام انفراده بها فى التأثير على سياسات الدول المطلة عليها ·

والولايات المتحدة ستستمر فى تزويد اسرائيل بالسلاح ولا توجد هناك فرصة فى أن تتخذ الولايات المتحدة سياسة غير متحيزة من الجانبين ·

ويضيف أن اسرائيل تعتمد على القوة العسكرية لتحقيق هدفين أساسيين لاستراتيجيتها العسكرية الأول منع العرب من استخدام القوة لحل مشكلة فلسطين ، واذا فشلت فى ذلك يكون الهدف الثانى عدم تعرضها لأكبر قدر من الخسائر ·

ويقول ان أهداف العرب تختلف فهم يستطيعون تحمل خسائر أكبر ، وتظل لديهم ثقة فى كسب النزاع فى المدى الطويل وان سقوط عشرات الالوف من الضحايا فى اسرائيل يمكن أن يقوض أمن الدولة · ثم ينتقل الكتاب الى تقديم اجابة تفصيلية لنفس السؤال فى باب بعنوان « تغييرات الميزان العسكرى » ·

ويرى أن الشرق الأوسط أصبح يمثل فى السنوات الأخيرة بالنسبة للغرب الطريق الرئيسى بين الشرق والغرب ومصدر احتياطيات البترول وأضيف الى هذه الأهمية اعتبار شرق البحر المتوسط الجناح الجنوبى لحلف الإطلنطى وطريق وصول المواد العسكرية الى منطقة شرق السويس ·

وبالنسبة للاتحاد السوفيتى فالشرق الأوسط يجب النظر

ليه باهتمام مزايد كطريق لكسر حزام الاحتواء الطويل الذى أقامه لغرب حول حدوده الجنوبية ..

وبرز على وجه الشرق الأوسط ، البحر المتوسط كأهم بلاماته . هناك برزت القوة البحرية السوفيتية .. وبدأ صراع حر ى ـ ضمن الاطار العام للصراع الامريكى السوفيتى فى الشرق لأوسط .

ففى شتاء ١٩٦٧/٦٦ كان فى البحر المتوسط قوة سوفيتية مكونة من طراد وثلاث مدمرات وأربع غواصات ، ٥ سفن تموين فى مايو ١٩٦٧ أصبح هناك ٩ مدمرات ، طرادين و ١٥ مدمرة ، ١٢ سفينة وأثناء حرب يونيو ارتفع الرقم الى غواصة ، ١٥ سفينة تموين وشهد صيف ١٩٦٨ زيادة القوة الى ٤٠ قطعة بحريه وظهور حاملة طائرات الهليوكوبتر الجديدة موسكوفا . ومن المتوقع أن يرتفع الرقم الى أكثر من ذلك .

ويتحرك الاتحاد السوفيتى فى هذا الاتجاه بدوافع استراتيجية تقوم على الدفاع عن نفسه ضد أى هجوم استراتيجى غربى واقامة قوة هجومية فردية مواجهة لقوة الغرب وتأييد مركز الدبلوماسية السوفيتية وازالة الانطباع بأن البحر المتوسط بحيرة أمريكية أو أن الولايات المتحدة تنفرد بقوة تؤثر فى أحداث الشرق الأوسط .

ومن وجهة النظر الغربية يعبر هذا التحرك محاوله لتطويق حلف الأطلنطى وتهديد جناحيه الجنوبى والشرقى . وأن الاسطول السادس يجب أن يبقى فى البحر المتوسط كقوة مؤثرة .

ثانيا : وانتقالا من الصراع من أجل التفوق العسكرى كأحد الجوانب الأربعة الأساسية للصراع الأمريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط يطرح الكتاب مسألة **التنافس الاقتصادى** باعتبارها الجانب **الثانى من الصراع** .

ويقدم هذه الأرقام أن الاستثمارات الامريكية الخاصه
فى الشرق الأوسط تبلغ حوالى ٣٠٠٠ مليون دولار منها آ
٢٠٠٠ مليون دولار مستمرة فى مجال صناعة البترول وه
الرقم بين الاهمية الاقتصادية لاستثمارات أمريكا البترولية
اذا علمنا أن صعف هذا الرقم من الأموال الامريكية المستث
مجالات السفن ومعامل التكرير وعمليات النوزيع والتسـو
أوروبا الغربية ـ مخصص بدرجة كبيرة منه لواردات البتر
الشرق الأوسط ٠

كذلك تصدر الولايات المتحدة حاليا سلعا مصنوعة فيم
بين ٢٠٠٠ ، ٢٥٠٠ مليون دولار سـنويا من دورها فى
استخراج ونقل وتكرير وتوزيع وبيع بترول الشرق الأوسـ
للمستهلكين فى أوربا الغربية ٠

ثم ان الولايات المتحدة تهتم بصورة كبيرة باعتماد حله
فى أوروبا الغربية على بترول الشرق الأوسط وبالزيادة المستم
طلب أوربا الغربية على هذا البترول ٠

أمام هده الأهمية الاقتصادية للشرق الأوسط بالنسبة للـ
المتحدة يركز الكتاب الضـوء على الطرف الآخر فى التنـ
الاقتصادى فيعلن توقعه زيادة مشاركة الاتحاد السـوفيتى
أوربا الشرقية عموما فى تجارة الشرق الأوسط فى السبعينات

ويقول أننـا إذا نظرنا الى منظمة الكوميـكون (المـ
الاقتصادية لدول أوربا الشرقية) فستجد أن نصيبها فى ا
العالمية الاجمالية قد تضاعف خلال السنوات العشرية الماضية
من نصف فى المائة عام ١٩٤٨ الى أكثر من ١٠ فى المائة عام
والنسبة مستمرة فى الزيادة ٠

وقد يشكل التوسع في صادرات الاتحاد السوفيتي ومجموعة الكوميكون متاعب اقتصادية حادة في الولايات المتحدة في السبعينات . وقد يكون أهم عنصر في هذا المجال زياده قدرة الاتحاد السوفيتي على المنافسة اعتمادا على سويع وارتفاع جودة منتجاته من السلع .

وبالنسبه للبترول .. فقد يستورد الاتحاد السوفيتي كميات كبيرة منه من دول الشرق الاوسط ولكن ذلك قد لا يحدث قبل مرور عشر سنوات على الأقل فنفقات استخراج البترول في الاتحاد السوفيتي ليست كبيرة . ولديه من البترول فائض كبير يصدر كميات منه الى أوروبا الشرقية بل والى بعض دول أوربا الغربية وسوف يستمر هذا الوضع لسنوات ولكن هناك عدة احتمالات قد تغير هذا الوضع ، فقد يتجه الاتحاد السوفيتي نحو خفض اعتماده على التوسع في الانتاج البترولي الداخلي وقد يجد أنه من الأوفر اعتماد الأقاليم الجنوبية السوفيتية على بترول العراق وايران عن طريق البحر بدلا من نقله من باكو أو غرب سيبيريا مما يكلف نفقات نقل عالية أو قد يجد عليه مبادلة بترول الشرق الأوسط بسلع ومنحات سوفيتية .

على أن الاتحاد السوفيتي ـ مع ذلك ـ سيظل دولة مصدرة للبترول في السبعينات ان لم يكن أيضا في الثمانينات .

فضلا عن ذلك فان ما يحصل عليه الشرق الأوسط من المساعدات العسكرية والاقتصادية السوفيتية يزداد .

ثالثا : ومن المجال الاقتصادي ننتقل الكتاب الى **التنافس** الثقافي باعتباره الجانب الثالث في الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط .

ويذكر أن الولايات المتحدة تكره أن تحسر أى منافسة ٠ وهذا قد يدفعها الى المضى فى مجال التنافس سيستمر بصرف النظر عما يحدث من تطورات فى العلاقات السوفيتية الامريكية ويشير الى نظرة المثقفين فى الشرق الأوسط الى الثقافة الامريكية باعتبارها ثقـافة رجعية ، وأنهم سيستمرون فى ربط أنفسهم بالاشتراكية ، ومعاداة الاستعمار ٠

والى جانب دفاع المؤلف عن الثقافة الامريكية وهجومه العنيف هى الثقافة السوفيتية وأصولها وأهدافها ٠

فانه عندما يتحدث عن أهداف الثقافة السوفيتية ـ فانه يذكر أن من أهدافها اضعاف النفـوذ الغربى فى المنطقة وأن الاتحـاد السوفيتى بدأ فى تشجيع الحكومات التى لا تتبع الطريق الماركسى اللينينى ولكنها تسير فى طريق غير رأسمالى وأنه بدأ منذ عام ١٩٦٦ فى الاشادة بجهود الزعماء الوطنيين أمثال الرئيس جمال عبد الناصر فى تحقق التطور الاشـتراكى فى بلادهـم ٠ ويضيف المؤلف أن الاتحاد السوفيتى سيستمر على الأرجح فى اتباع هذا النمط من التفكير لعدة أسباب منها قدرة النظم الحاكمة فى بعض البـلاد مثل الجمهورية العربية المتحدة على السير فى طريق تطور سياسى واجتماعى خاص بها والقدرة على توجيهه ٠

رابعا : ويبقى التنافس السـياسى كعنصر رابع فى الصراع الامريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط يمثـل عام ١٩٥٥ علامة واضحة على صفحات تاريخ الشرق الأوسط ففيه كسر الاتحـاد السوفيتى احتكار الغرب لسوق السلاح فى المنطقة وظهرت معـه بوادر مواجهة بين الدولتين العظيمتين فى العالم فى تلك المنطقة بعد هذا العام (١٩٥٥) توالت أحداث هامة خسرت بريطانيا نفـوذها فى المنطقـة بعد أزمة السـويس ١٩٥٦ ٠ قامت ثورة العراق فى

عام ١٩٥٨ تدخلت الولايات المتحدة فى لبنان عام ١٩٥٨ فى ذلك الوقت لم يكن هناك أسطول سوفييتى فى البحر المتوســـط ٠٠ فى عام ١٩٦٧ تغير كل شيء ٠

فحرب ١٩٦٧ أظهرت أن النزاع العربى الاسرائيلى يمكن أن يتجاوز حدود حافة الحرب الى الحرب نفسها وان هذه الحرب يمكن أن تجر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى نقطة مواجهة خطيرة بينهما ٠

هذا هو الموقف فى الشرق الأوسط فى الوقت الراهن ١٩٧٠ ٠٠ مواجهة خطيرة بين الدولتين الكبيرتين يمكن أن تؤدى الى صدام مسلح ولكن المؤلف يرى أن الاتحاد السوفيتى ـ يتفادى المواقف التى قد تحمل مخاطرة بوقوع صدام مع الولايات المتحـــدة ويرى كذلك من المصالح الرئيسية للولايات المتحـــدة ألا تقع حرب بين واشنطون وموسكو بسبب النزاع فى الشرق الأوسط ٠

النزاع العربى الاسرائيلى وصراع الكبار

ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لا تنشط فى فراغ بل تمارس نشاطها فى جو دولى يحكمه التنافس بين دول كبرى وهى مرتبطة باحدى طرفى هذا التنافس مستفيدة من امكانياته الى أقصى الحدود ٠

ويرى هورويتز أن التنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على تقديم المساعدات العسكرية الى الشرق الأوسط الممتد من الغرب الى أفغانستان وباكستان ٠

واستطاع الاتحاد السوفيتى من ناحية أخرى العمل على تقلص النفوذ العسكرى والسياسى للغرب فى المنطقة ٠

هذا لتنافس بدأ قبل ذلك بسنوات بعد الحرب العالمية الثانية عندما لجأت الولايات المتحدة الى تطبيق ما سمى بسياسة الاحتواء وتطويق الاتحاد السوفيتى بسلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية وشاركت بريطانيا حليفتها فى خططها لانهما كانتا تحاولان الابقاء أطول وقت ممكن على وجودهما الاستعمارى وكان نفوذ بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط يمثل رصيدا فى حساب أمريكا الخاص بالاحتواء وهذه الارصدة تحولت الى ديوان متزايده بانهيار مركز بريطانيا عن قاعدة قناة السويس فى مصر عام ١٩٥٤ ثم متاعب بريطانيا فى قبرص وعدن بعد ذلك ٠

وبينما الدولتان تفقدان قواعدهما بالتدريج خاصة بعد فشل حرب السويس عام ١٩٥٦ ٠ فان الولايات المتحدة تحملت المسئولية الأولى فى حماية مصالح الغرب الاستراتيجية والبترولية فى المنطقة واعتمدت على الأسطول السادس كقاعدة متحولة فى أنحاء البحر المتوسط والشرق الأوسط ٠ وكوسيلة لجذب غير الراغبين فى المحالفات الى الدخول فى احلاف الغرب لجأت الولايات المتحدة الى عرض المساعدات العسكرية وظل سوق الأسلحة فى الشرق الأوسط احتكارا غربيا حتى عام ١٩٥٥ ولم تجد الدول الثلاث الغربية صعوبات فى تنظيم حركة وصول الأسلحة الى المنطقة بما يحقق مصالح هذه الدول نفسها ٠

وظلت سياسة التسليح تعمل بشكل منظم مدة خمس سنوات وبدلا من أن يفتح حلف بغداد ، ومحاولات تدعيمه على طول الحدود السوفيتيه ، الباب أمام زيادة أعضاء التحالف الغربى فانه فتح الباب أمام المساعدات العسكرية السوفيتية الى بعض دول الشرق الاوسط ٠

كان الاتحاد السوفيتى يراقب بقلق دعم القوة العسكرية للغرب فى المنطقة التى ظل يعتبرها بابه الخلفى فى الوقت الذى أعلن فيه اتباعه سياسة التعايش السلمى ٠ التى تقبل الحياة من الدول الأخرى وحين عقدت مصر صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٥ قال السوفيت بأن مساعداتهم العسكرية لا ترتبط بأية شروط من جانبهم ٠

ويقال هوروينز أن الولايات المتحدة لم تستطيع منع الاتحاد السوفيتى من مواصلة تقديم المساعدات العسكرية للدول العربية ولم تتحول أى دولة مشترية للاسلحة الى عميل ٠ ومع زيادة التنافس فى السياسات العسكرية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة

انسعت القوة البحرية السوفييية فى البحر المتوسط التى بدأ حشدها تدريجيا فى أوائل عام ١٩٦٣ وأصبحت هذه القوة فى نهاية عـام ١٩٦٦ تتكون من ٢٠ سمينة وأرتفع الرقم قبيل نشوب حرب ٦٧ يونيو الى ٣٠ قطعة تشمل عواصات وسفنا حربية وبوارج وسفن انزال جنود •

ويرى هـوزويس أن المنافس البحرى قـد يتمتد الى شرق السويس بعد انسحاب بريطانيا من الخليـج العربى فى نهـاية ١٩٧١ وانه من المتوقع أن يحاول الاتحاد السوفيتى فى السبعينات منع حلول القوة البحرية الامريكية محل الأسطول البريطانى فى الخليج وانه حتى بدون هذا الاحتمال فان تعزيز القوة البحـريه السوفيتية فى البحر المتوسط فى السيتات قد فتح صفحة جديده فى الصراع الأمريكى السوفيتى فى الشرق الأوسط •

فى تيار هذا التنافس تحولت الولايات المتحدة خطوة خطوة الى المورد الرئيسى للاسـلحة الى اسرائيـل فبعد أن ظلت حوالى عشر سنوات تشجع حلفاءها على بيـع الأسلحة لاسرائيل فانهـا دخلت السباق بعد ذلك لتلعب دور المورد الأساسى لاسرائيل فى مجـال الأسلحة الثقيلة والمعدات الحديثة •

وفى الختام يقول هوروينز ان السياسات العسكرية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط قد رسمت أصلا لخدمة مصـالحها فى صراعهما العالمى •

ويقـول أن كثيرين من الأمريـكيين يحبذون تخلى الولايات المتحدة من جانبها عن التزاماتها فى الشرق الأوسط •

ويرى انها تحمل التزامات ضخمة ازاء المصالح الغربية الواسعة هناك • وهؤلاء تعبوا من الحرب الطويلة المكلفة فى فيتنام ويشعرون

أن أكثر من فيتنام واحدة تختفي الآن في زوايا الشرق الأوسط ولهذا يدعون لانسحاب الأسطول السادس الامريكي من البحر المتوسط وانهاء التحالفات والالتزامات الامريكية في الشرق الأوسط .

وهو روتيز يعارض هذا الرأي ويرى فيه تنازلا عن استثمارات الحكومة الامريكية في ميادين المساعدات الاقتصادية والعسكرية للمنطقة والتي بلغت حسب تقديره ٢٠ ألف مليون دولار ، تحسب ضمنها تكاليف وجود الاسطول السادس وانها يجب ألا تفعل ذلك بغير مقابل وإن عليها التشبث بمواقعها ما دام الصراع العالمي مستمرا .

تبريد الشرق الأوسط

عندما سكتت أصوات المدافع على جبهة قناة السويس في ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، كان ذلك يوم بدء وقف اطلاق النار • أو كما وصفه الكولونيل جيمس بيبودى في وثيقته المنشـورة في نشرة القوات المسلحة الأمريكية « ميليترى ريفيو » بدء مرحلة تبريد الموقف في الشرق الأوسط (وفي رأيه الذى عرضناه في فصل سابق والذى شرحه في عام ١٩٧١) بأن التكهن باحتمالات استمرار أو انهيار هذه المرحلة يحتاج الى النظر الى النزاع العربى الاسرائيلى ، في اطار التنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى •

يقول انه في هذا الاطار يتكون هذا التنافس في صورته الراهنة من جانبين أساسيين :

الأول : ان الاتحاد السوفيتى مهتم باعادة فتح قناة السويس لتقليل المسافة من موانيه الى جنوب شرقى آسيا وتسهيل دعم قوته البحرية في المحيط الهندى •

وبالتالى يصبح اعادة فتح القناة هدفا غير وارد ضمن المصالح الاستراتيجية الأمريكية في الاجل القصير •

والجانب الثانى يتمثل في البترول وبالنسبة للولايات المتحدة يحتوى الشرق الاوسط على اكثر من ٦٧٪ من احتياطيات البترول في العالم •

وسيكون البترول ـ وليس الطاقة النووية ـ ولفترة طويلة قادمة أهم مصادر الطاقة فى العالم ، والأمريكيون يملكون فى الشرق الاوسط استثمارات تزيد على ١٣ ألف مليون دولار • وبالنسبة للاتحاد السوفيتى فهو يحتاج البترول للبترول لتوفير احتياجات أسطوله الجديد فى البحر المتوسط • وهذا هو أحد التطورات العامة التى ترتبت عليها الحرب ١٩٦٧ وأدت الى دخول السوفيت مجال التنافس على البترول وظهور البحرية السوفيتية فى البحر المتوسط • وهذا التنافس من مصلحة الدولتين الكبيرتين حصره داخل نطاق يمنع التهديد بمواجهته بينهما فى الشرق الأوسط • وعلى ذلك فاذا نجحت الولايات المتحدة فى الوصول الى اتفاق جزئى لاعادة فتح قناة السويس ، فانها تكون قد حافظت على استمرار حالة تبريد الموقف فى الشرق الأوسط •

ومع أن اعادة فتح القناة ليس فى مصلحة الولايات المتحدة استراتيجيا فى الاجل القصير الا أن اعادة فتح القناة يهبط بدرجة التوتر فى الشرق الاوسط الى مستوى منخفض مقبول • ويمكن أن تعرض الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتى موافقتها على اعادة فتح القناة مقابل مساعدتها فى الخروج من ورطتها فى فيتنام • كما أن اسرائيل يمكنها أن تساوم على قبولها فتح القناة مقابل فتح باب هجرة اليهود السوفيت • وتقول مجلة « ميليترى ريفيو » ليس من المنطق السليم • التفاؤل بظهور فرص قريبة للسلام فى الشرق الأوسط • وليس من التفكير الواقعى أن يكون هناك أمل فى تسوية كاملة لكافة مشكلات المنطقة فى المستقبل القريب ومن مصلحة الولايات المتحدة محاولة اقناع الاتحاد السوفيتى بالمحافظة على استمرار الوضع الراهن على أساس أن التصعيد العسكرى ليس فى صالح الدولتين الأكبر •

● الفصل الثانى ●

عصر الوفاق

لم يكن النزاع العربى الاسرائيلى ؛ صراعا محليا ينحصر داخل اطار المنطقة التى يجرى فيها • كان النزاع يتحرك ، متأثرا بحركة الصراع الأكبر فى العالم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ؛ وكانت للنزاع أيضا آثاره على مسار الصراع بين الدولتين الأكبر •

وارتبـط النزاع بين العرب واسرائيـل ، بالصراع الامريكى السوفيتى ، لأن طرف من طرفى النزاع فى الشرق الأوسط ؛ قد أقام سياسته على أساس وجود هذا الصراع •• مستفيدا من أحد قطبيه • كما ان كلا من القطبين كانت لديه أسبابه ـ المختلفة عن أسباب الآخر ـ فى مساندة أحد طرفى النزاع •

وكمـا رأينـا فان الصراع بين الولايات المتحـدة والاتحـاد السوفيتى ؛ كانت تطرأ عليه أثناء مسارة عناصر جديدة ، تغير بعض ملامحه ؛ بحيث راح ينتقل من الصراع الحاد ، الى خفض التوتر ؛ الى التفاوض ، وحتى الوفاق •

وحسب وجهـات النظر التى عرصناها •• فان السياسـة السوفيتية التى كان اهتمامها مركزا على أوربا فى أعقاب الحرب

العالمية الثانية ، قد بدأت تعدل من مواقفها تجاه أحداث الشرق الأوسط ؛ وتعطيها اهتماما متزايدا ؛ يتزايد مع اكتشاف السوفييت آفاقا ثورية جديدة في قلب المنطقة ، بعد ثورة ٥٢ ؛ ودور مصر في باندونج ، ومعارك رفض أحلاف الغرب • وقدم الاتحاد السوفيتي السلاح لمصر ، وتركت صفقة السلاح آثارا مباشرة على الموقف السياسي في المنطقة •

وارتبط الاتحاد السوفيتي « بدرجة ما » بالنزاع العربي الاسرائيلي •

* وكان رأى البروفسور • ج • هوروتيز ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ؛ كانت في اطار هذا الصراع تعمل على الاستفادة الى أقصى حد من المساعدات الامريكية ؛ عسكريا وسياسيا ؛ واقتصاديا •

* ويرى هوروتيز أن حركة التصاعد في الصراع الامريكي السوفيتي ، قد توقف ، عندما أظهرت حرب ١٩٦٧ ان احتمالات المواجهة الخطرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، موجودة في المنطقة •

* وأوضح الكولونيل جيمس بيبودى ، ان نجاح الولايات المتحدة في خلق حالة وقف اطلاق النار على جبهة قناة السويس ؛ قد أخمد خطر هذه المواجهة • وانها سعت بعد ذلك لمنع انهيار وقف اطلاق النار ؛ باقناع الاتحاد السوفيتي بأن التصعيد العسكري ليس في صالح الدولتين ، وان الاسترخاء العسكري ، تخفف التوتر القائم •

* وعرض البروفسور لويس برنار ؛ صورة الموقف بعد وقف وطلاق النار وخفض التوتر بين القوتين الأكبر ؛ وما صاحب ذلك من تطرف امريكي في تأييد اسرائيل ، ترتب عليه تصدع في

العلاقه بين القاهرة وموسكو ؛ حيث كانت مساعدات السوفيت لمصر ، تتوقف عند حد معين لا تتجاوزه ·

*** وتأخذ العلاقة الأمريكية السوفيتية ، شكلا جديدا ، تتحدد خطوطه الأوليه بعد زيارة نيكسون لموسكو فى مايو عام ١٩٧٢ · وهذا التطور فى العلاقه ؛ هو موضوع هذا الكتاب استعراض لأحداث العالم الذى صدر بعد هذه الزياره التى فتحت أبواب عصر الوفاق · ويعرض فيه عدد من خبراء السياسة الخارجية فى الولايات المتحدة ؛ تصورهم لمستقبل هذه العلاقة ·· ولكن ذلك كان ؛ قبل مؤتمر القمة بين نيكسون وبريجنيف فى واشنطن فى يونية ١٩٧٣ ·

يرى هؤلاء الخبراء ان شكلا جديدا للعلاقة بين موسكو وواشنطن · قد ظهر بالنسبة للشرق الأوسط وأبرز مظاهره أن التنافس الحاد مستمر بينهما ولكن على أساس انهما ليسا عدوين بالصورة القديمة وليسا صديقين بالمعنى التقليدى ·

وفى اطار هذه العلاقه تعمل الولايات المتحده على احتواء الدولتين للنزاع العربى الاسرائيلى حتى لا ينفجر وتسعى للموازنه بين مساندتها لاسرائيل وجهودها الدبلوماسية لنزع فتيل الأزمة ·

كيف دخلت هذه التطورات على الموقف فى الشرق الأوسط ؟

فى التقارير التى كتبها الخبراء السياسيون الامريكيون عن سياسات الدولتين الكبيرتين بعد رحلة الرئيس نيكسون الى موسكو · تعود كل منهم الى البداية الى العناصر التى أدت الى هذه التطورات ·

يقول هارى سوارتز الصحفى الامريكى ان الاتحاد السوفييتى قطع شوطا طويلا فى الخمسينات والستينات بالتقدم نحو الشرق الأوسط عند ما أصبح صديقا للعرب فى نزاعهم مع اسرائيل ·

وهذا التقدم وضع الاتحـاد الســوفيتى فى قلب المنطقة التى تحوى أغلب موارد أوربا الغربية واليابان من البترول • والبترول مرتبط مباشر بالصراع بين الشرق والغـــرب أكثر من ارتباطه بالاحتياجات الاقتصادية فالاتحاد السوفيتى دولة مصدرة للبترول ومصالحه الراهنة فى بترول الشرق الأوسـط تكمن أســاسـا فى مقدرته على أوقات الأزمات على منع هذا البترول من الغرب ، وفى وقت ما كانت الولايات المتحدة قادرة على تعويض النقص فى البترول لدى أوربا الغـربية ــ مثلما كان الحال أثناء حرب الســويس عام ١٩٥٦ • ولكن الولايات المتحدة لم تعد تملك الفائض الذى يسمح لها بذلك •

وفى رأى روبرت كليمان الكاتب السياسى الامريكى ان الاتحاد السوفيتى أصبح يملك لأول مرة فى تاريخه قوة عسكرية فى البحر المتوسط أضافت الى قوته الدبلوماسية طاقة جديده فى مركزه تجاه الولايات المتحدة •

ويقول كليمان ان الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط هو أول ظهور للقوة المسلحة السوفيتية ، خارج حدود العالم الشيوعى منذ الحرب العالمية الثانية ، وللاتحاد السوفيتى اهدافه المتعددة من الوصول الى هذا الوضع فهناك الأحلام القديمة بدخول المياه الدافئة والأحلام الجديدة بخلق قوة بحرية كبرى فى عصر يحقق فه التوسع البحرى القدره على امتلاك التأثير الدبلوماسى المطلوب فى المشكلات العالمية ، والقدرة على التدخل العسكرى فى مناطق بعيدة ؛ وتستند هذه القوة السوفيتية على التسهيلات البحرية التى تحصل عليها من موانى البحر الأبيض وكانت هـذه التحركات تجـرى فى الشرق الأوسط حيث يوجد البترول وقناة السويس والجناح الجنوبى لحلف الأطلنطى والمصـالح الاستراتيجية والاقتصـادية الجبهة الأخـرى بالاضـافة الى المنازعات المحلية وأهمها على الاطلاق النزاع العـربى

الاسرائيلي ومن تم دخلت كل هذه المشكلات ضمن الصراع الكبير بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ؛ مما هــدد مرارا بجرهما الى مواجهة عسكرية لا تريدها أي منهما ٠

وبعد هــذه التطورات كما يقــول كلمان ـ كانت تقــديرات واشنطن ترى انه فى حالة نشوب أزمة مستقبلة فى الشرق الأوسط اذا كان العرب فى مركز يسمح لهم بالقيام بعمل عسكرى سريع يقلب الوضع الراهن ؛ فان التدخل الأمريكى قد يصدمه الوجود العسكرى السوفيتى فى البحر المتوسط ٠

ولكن جو الازمة بدأ يخف فى الشرق الأوسط مع نهاية عام ١٩٧١ ٠ وزاد من احساس الولايات المتحدة بتضاءل جو الأزمة ، ضرب المقاومة الفلسطينية فى الأردن وقيام حكومة العراق بسحب قواتها (١٠ آلاف جندى) من الأردن ، وكانت قد أرسلتهم الى هناك عام ١٩٦٧ ٠

فى أعقاب هذه التطورات جرت عملية اعادة تشكيل السياسة الامريكية وعلاقاتها بالاتحاد السوفيتى والصين بصفة أساسية ويقول ماكس فرانكل المعلق السياسى الامريكى فى وصفه لهذه العملية ـ ان الرئيس نيكســون الذى بنى شـــخصيته السياسية على معاداة الشيوعية قد اتخذ برنامجا سياسيا جديدا يشتمل على : انسحاب تدريجى من فيتنام وخفض القوات الامريكية من مناطق العالم الأخرى ومساعدات عسكرية للدول الصديقة القادرة على استخدام هذه ـ المساعدات بنفسها ٠ وجهدا منظما للتفاوض على تسويات للمشكلات مع الاتحاد السوفيتى وعلاقات طيبة مع الصين ٠

وراء هذا البرنامج أهداف رئيسية للذين يرسمون السياسة الأمريكية فى السبعينات وهى العمل على ايجــاد عدة موازين للقوى

فى العالم تضمن الاستقرار بين الدول الكبرى وتوفير اطار التنافس السلمى اقتصاديا ومذهبياً .

وهذا التوازن المطلوب يحتاج حدا أدنى ولو ضعيفا للتعاون بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى مجالات البحث عن موازين التسلح وتطوير المجتمعات المتخلفة اقتصاديا ومنع الحروب الصغيرة المحلية التى يمكن أن تجرهما الى مواجهة نووية .

والمناطق التى يتجسد فيها بالتحديد هذا الاهتمام الامريكى : المانيا : شمال الاطلنطى — السوق الأوروبية المشتركة — اليابان — الهند الصينية — وجاراتها فى آسيا البحر المتوسط — اسرائيل — العالم العربى — دول أمريكا اللاتينية :

وبالنسبة للشرق الأوسط فهو ما يزال يمثل منطقة حيوية للأسباب التقليدية (البترول والموقع الاستراتيجى على طول الجناح الجنوبى لأوروبا وكممر للمصالح السوفيتية فى أفريقيا وجنوب آسيا ولأسباب أخرى فى مقدمتها اتساع عمق الالتزامات العسكرية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فى اسرائيل والعالم العربى .

وفى الشرق الأوسط تسعى الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر (١٩٧٢) من أجل خلق توازن دقيق للمساعدات التى تهدف الى انهاء النزاع فى الشرق الأوسط ، وفى سعيها هذا تأمل الولايات المتحدة فى تفادى خطر الحرب فى المنطقة عن طريق اتفاق الدول الكبرى على احتواء النزاع وليس استغلاله .

ويقول ماكس فرانكل — ان الاهتمام الامريكى فى كل هذه المواقف (فى الشرق الأوسط وفى مناطق العالم الأخرى) موجه الى التحدى الراهن للقوة السوفيتية ؛ والتحدى المحتمل بقوة الصين .

وهذا الاهتمام يدور داخل نطاق عصر جديد قد بدأ فى علاقات الولايات المتحدة مع كل من موسكو وبكين · وهذه العلاقات تمثل تجربة جديدة على السياسة الامريكية لانها تحمل احتمالات للولايات المتحدة بأن لا تكون انعزالية تماما أو متورطة فى مشكلات الغير الى حد كبير · بل تفتح الآفاق لفترة من التنافس والمفاوضة فى وقت واحد · فترة لعلاقة بين خصوم أقوياء لا هم أعداء ولا هم أصدقاء بالمعنى المألوف · فترة تملى فيها اعتبارات المصالح الوطنية على السياسات الخارجية الاتجاه الذى تسير فيه · ولكن بدون أن تختفى تماما اعتبارات الخلافات المذهبية ·

وفى رأى ماكس فرانكل - ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد توصلا الى اتفاق على تجميد سباق التسلح بدون الاخلال بتوازن التسلح بينهما كما اتفقا على « حالة عش ودع غيرك تعيش » فى أوربا ما دام كل منهما لا يستطيع تغيير الوضع الراهن بدون المخاطرة بحرب ·

ولكن - وحيث الرمال ما تزال متحركة فى الشرق الأوسط فيهما لا يزالان فى حالة تنافس شرس لأن لكل منهما مصالح تنافس مصالح الأخرى ·

والآن تدخل العلاقة بين الدولتين عصر ما بعد حرب فيتنام وهو عصر يصفه سيروس سولزبرجر رئيس تحرير النيويورك تايمز - بأنه يقوم على أساس تجنب الولايات المتحدة العودة الى أسوار العزلة أو الاندفاع نحو التورط الخطر · بل يعتمد على توازن القوى بأسلوب جديد تراعى فيه كل منهما المصالح الأساسية للاخرى ·

وفى عصر ما بعد حرب فيتنام يقول البروفسور زبجنيو بريززنيسكى الأستاذ بجامعة كولمبيا أن الشرق الأوسط سيظل يحمل احتمالات انفجارات ستلقى بأثارها حتما على المجتمع الامريكى وبسبب

ذلك أن الشرق الأوسط يحوى من احتياطى البترول العالمى كميات لن تستنزف قبل ٦٠ عاما بينما احتياطى البترول فى نصف الكرة الغربى سيجف بعد عشر سنوات وعندئذ يصبح العالم العربى هو المصدر الوحيد للبترول فى العالم ٠

ويلخص ليستر ماركل الخطوط الرئيسية لهذه المجموعة من التقارير فى وجهة نظر تقول : ان الاتجاه الأساسى للدولتين الآن يبتعد عن المواجهة ويتجه نحو الحلول الوسط ٠ وقد تصطدم الدولتان حول بعض المشكلات مثلما حدث فى فيتنام وبرلين ولكنهما تتعاونان فى نفس الوقت للوصول الى اتفاق ومنع انفجارات محلية تهدد بمواجهة بينهما ٠

انتهت الحرب الباردة

كيسنجر يفكر ونيكسون ينفذ

انتهت الحـــرب البــاردة بين الولايات المتحــدة والاتحــاد السوفيتى • وأعلنت هــذه النهاية رسميا أثناء اللقــاء الذى تم فى واشنطن بين ريتشارد نيكســون رئيس الولايات المتحــدة وليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى •

وبدأ عصر جــديد وضعوه تحت عنوان « الوفاق » وهــو عصر يختلف عن سابقه • فالدولتان الآن فى حالة تنافس ؛ ولكن كــلا منهما ربطت نفسها بالأخرى بشبكة من المصالح المشتركة ، شيدت فوق مواقع الصراع والمواجهة ، بعد ازالة أنقاضه •

وعصر الوفاق ؛ يحمل ملامح جديدة ، وعلاقات مختلفة عمــا ألفناه ؛ عصر تتكون أسسه من تطورات ؛ بعضها مقصود ومرسوم ، وبعضها جاء بمحض الصدفة ، وكلها كانت تتلاحق فى السنوات القليلة الماضية ، تدفع الدولتين الأكبر ؛ نحو التقارب • والعصر الذى نحن بصدده ، مشــحون بتأثيرات حادة متوقعــة على الموقف الدولى وموازينه ومعايير سياساته ؛ ويلقى فى الوقت نفسه ؛ بظلاله على الشرق الأوسط ، وأزمته ؛ والتيارات التى تتفاعل فيه ، والعلاقات القائمة داخله •

وهذا التحول التاريخى فى علاقات الولايات المتحدة والاتحاد

السوفيتي ، صنعته عوامل متعددة كانت تتفاعل داخل كل منهما ·
ولنبدأ بما كان يجرى داخل الولايات المتحدة ·

في البدء : لا يمكننا اغفال حقيقة أوليه ؛ وهى ان التغير فى السياسة الخارجية الأمريكية كان من صنع رجلين · هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الامريكى لشئون الأمن القومى بأفكاره ونظرياته التى طرحها فى عدد كبير من مؤلفاته منذ سنوات طويلة ، وريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحــدة ؛ بالرغبة فى الوصول الى هــذا الشكل الجديد للعلاقات مع موسكو ، وبالسلطة التى يملــكها فى البيت الأبيض ، والتى أتاحت الفرصة لتحويل نظريات كيسنجر : الى أفعال احدثت أعمق وأشمل تغيير للسياسات العالمية منذ الحرب العالمية الثانية ·

ان الأسس النظرية لسياسة نيكسون الخارجية قد حددت فى كتاب هنرى كيسنجر « السياسة الخارجية الأمريكية » الذى صدر عام ١٩٦٩ ، وفى هذا الكتاب يقول كيسنجر « ان على التجمعات الاقليميه التى تساندها الولايات المتحــدة ؛ أن تتحمل المسئولية الرئيسية ، فى مناطق وجودها ؛ بينما توجه الولايات المتحدة اهتماما أكبر للاطار الشامل للنظام العالمى ، بدلا من أن تباشر بنفسها كل حركة اقليمية » ·

واعترف كيسنجر بأن مخلفات حرب فيتنام التى تراكمت فى عقول وحياة الشــــعب الامريكي ستكون حائلا دون المجازفة بأى تورط آخر فى الخارج على نمط ما حدث فى فيتنام · وهذا الاعتراف من جانب كيســـنجر قد شرحه الســــناتور وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، بأنه يقوم على استخدام « وكلاء » لتنفيذ أهداف سياسية أمريكية فى نفس المناطق التى يوجد بها الوكلاء ، والذين تعطيهم الولايات المتحدة الامكانيات

العسكرية ؛ التى تمكنهم من تحقيق هذه الأهداف · واعطى فولبرايت اسرائيل كنموذج لهذا النوع من الوكلاء فى قلب الدول العربية : وايران كنموذج آخر فى منطقة الخليج العربى ·

ويعتبر عدد غير قليل من المحللين السياسيين فى أوربا ـ ومنهم على سبيل المثال فريدريك ورثيدج أستاذ علم السياسة البريطانى ـ « سياسة ـ كيسنجر » ـ بأنها مشتقة من سياسة المصالح الوطنية الذاتية التى سادت أوربا على مدى ٥٠٠ سنة ، والتى انبثقت عن آراء المفكرين السياسيين ، أمثال الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز ؛ والايطالى ميكيا فيللى ·

وهذه الأفكار ، كانت منبعا لسياسات عملية طبقها فى القرنين التاسع عشر ؛ والعشرين سياسيون عمالقة أمثال ميترنيخ : وبسمارك ، وأديناور ، وديجول ـ وان لم يكن التطابق كاملا فى تفكيرهم ـ وهؤلاء الأربعة ؛ كانوا دائما محط اعجاب كيسنجر ·

ان ميترنيخ هو الذى قال « ان حرية التصرف وليست قيود العلاقات الرسمية بين الدول ، هى التى تقود الى الدبلوماسية الناجحة · وعلى أساس هذا القول المأثور أعاد نيكسون وكيسنجر تقييم العلاقات الخارجية الأمريكية · وكانت النتيجة التخلى عن بعض الروابط التى عفا عليها الزمن أو بالتعبير الدارج ؛ التى أصبحت « موضة قديمة « (مثلما حدث فى فرموزا) ؛ واعادة صياغة علاقات جديدة مع أوربا الغربية بعد أن تحولت من حليف يحتاج للمساعدات الامريكية لاعادة تعمير أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، ومن شريك فى سياسة احتواء النفوذ السوفيتى داخل حدود بلاده فى فترة الحرب الباردة ، الى كيان اقتصادى قوى منافس لأمريكا ؛ وتجمع سياسى تتمرد بعض دول على السياسة الامريكية فى فيتنام أولا ، ثم فى الشرق الأوسط ؛ وغيره ؛ وبناء شكل جديد للعلاقات مع أعداء قدامى للاتحاد السوفيتى والصين ·

ومحور السياسة الجديد يقوم على تعديل حركة التوازن الدولى ليصبح الكبار الذين يتحكمون فى هذا التوازن ثلاثة بعد أن كانا اثنين ، بدخول الصين الى مجال التعاون الدولى ؛ تم التمهيد لتحول الميزان نهائيا الى ميزان خماسى — فى وقت ليس ببعيد قد يستغرق عشرة أو عشرين سنة أو أقل — بانضمام اليابان التى ستكتسب من قوتها الاقتصادية وزنا سياسيا يتناسب مع حجمها الاقتصادى ، وأوربا الغربية التى ستصبح بعد توحدهـــا منطقة تملك قدرات اقتصادية ؛ وسياسية ؛ وثقافية هائلة ٠

ومن أبرز مظاهر هـذه السياسة الامريكية الجـديدة — كما أوضحت مجلة « تايم » فى دراسة مطولة عن هذا الموضوع — العمل على شغل تفكير نظم الحكم الثورية بمشكلات اقليمية تزرع فى مناطق وجودها ، وتصميم التوازن الدولى بصورة لا تسمح للدول الأصغر ؛ بالتأثير على مجريات الأحداث فى العالم الا بدور محدود وهز علاقة المبادىء بين المعسكر الشرقى وأصدقائه فى الخارج بجعل العالم أقل اهتماما بالأيديولوجيات ، وأكثر اهتماما بالمصالح ٠

لقد تغيرت الصورة تماما ٠ وجرى تعـديل شامل للسياســة الخارجية الامريكية التى ظلت طوال أكثر من ربع قرن ، تقوم على أساس مبدأ الصراع الحتمى والدائم مع الاتحاد السوفيتى والصين ؛ وعلى سياســة احتواء الدولتين ؛ لمنع تسرب نفوذ أى منهمـا خارج حدودها ٠

ولنلق نظرة على الصورة القديمة ٠٠

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ؛ بدأت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس هارى ترومان تطبق استراتيجية جـديدة لسياســتها الخارجية ، حملت اسم سياسة الاحتواء ، لعب الدور الرئيسى فى رســم خطوطهـا ، جـورج كينان الخبير الأمريكى فى الشــئون السوفيتية ٠

وقامت سياسة الاحتواء لتواجه متغيرات طرأت على موازين القوى في العالم ، عقب هزيمة هتلر ؛ والفراغ السياسي والانهيار الاقتصادي الذي خلفته الحرب في أوربا ؛ وهو ما قد يتيح الفرصة أمام نشوء أنظمة ترتبط بالسوفيت في أوربا الغربية ، خاصة وان أول انتخابات جرت في أوربا بعد الحرب أسفرت عن فوز الحزب الشيوعي الايطالي بثلث أصوات الناخبين ، وفي فرنسا فاز الحزب الشيوعي بربع الأصوات .

وتجسد التطبيق العملي لاستراتيجية الاحتواء في خطوتين الأولى مشروع مارشال (وزير خارجية أمريكا حينئذ) لانعاش أوربا وانقاذها من انهيار اقتصادي محقق .

والخطوة الثانية ، اقامة حلف شمال الأطلنطي عام ١٩٤٩ : من الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية ؛ كحاجز في وجه انطلاق النفوذ السوفيتي خارج حدوده . وطبق ترومان هذه السياسة في حرب كوريا عام ١٩٥٠ ؛ ولكنها فشلت في تحقيق أهدافها عندما زحفت حشود المتطوعين الصينيين للقتال الى جانب الكوريين .

وبعد ترومان – وفي عهد الرئيس دوايت ايزنهاور قال وزير خارجيته جون فوستر دالاس يدعم استراتيجية الاحتواء ، وتوسيع شبكتها ، بتوقيع معاهدات أمن متعددة مع ٤٢ دولة .

ولكن دالاس أدخل تطويرا على هذه الاستراتيجية بالتخلي عن فكرة الدخول في حروب محدودة مع الاتحاد السوفيتي وحلفائه ؛ وايضاح استعداد الولايات المتحدة لتطبيق استراتيجية الانتقام الشامل الفوري ، وفي الأماكن التي تختارها الولايات المتحدة بضرب الاتحاد السوفيتي بالقنابل الذرية في حالة وقوع هجوم من جانبه في آسيا وهذه الاستراتيجية هي التي عرفت بسياسة حافة الهاوية .

وظلت هذه النظريات تسود فى بداية حكم جون كيندى . ولكنه بدأ يعيد النظر فيها بعد فشل غزو كوبا فى العملية التى عرفت باسم عملية خليج الخنازير . وقال كيندى فى أواخر عام ١٩٦١ : « اننا لا نستطيع أن نصحح كل خطأ ؛ أو أن نعدل كل ظاهرة معاكسة لنا ، وبالتالى لا يمكن أن تكون هناك حل أمريكى لكل مشكلة فى العالم » .

ولكن قبل أن ينتهى كيندى من بلورة فكرته ، فان احداث حرب فيتنام وانتصارات الثوار ، قد جرته الى التورط هناك . وكان مستشاروه قد أقنعوه بأن اعادة مسار الموقف فى فيتنام الى الطريق الامريكى ، يحتاج عملية سريعة وعاجلة . ويصبح كل شيء على مايرام .

وأثبتت (حرب فيتنام) مدى اهتزاز الأساس الذى تقوم عليه نظرية الانتقام الشامل ، لأنها تستند الى مجرد التخويف بالحرب الذرية ، بينما أخذ التفوق الذرى الامريكى يتضاءل ، أمام التقدم الذى أخذ الاتحاد السوفيتى يحققه فى مجال الأسلحة الذرية . كما أقنعت هذه الحرب الولايات المتحدة ، بأنها تحتاج أولا للأسلحة والقوات التقليدية المدربة على مثل هذا النوع من الحرب الصغيرة .

وبدأ فى عهد الرئيس ليندون جونسون تطبيق نظرية الحرب المحدودة ، للجنرال ماكسويل تايلور . فى هذه الظروف كانت نظريات الانتقام الشامل ، والردع المتدرج ، والردع المتعدد الأشكال ، والحروب الصغيرة ، والمحدودة ، موضوع مناقشات ودراسات شاملة وغزيرة فى الولايات المتحدة . .

ومن الذين أثارت كتاباتهم جدلا واسعا ، هنرى كيسنجر ، عندما كان أستاذا للعلوم السياسية بجامعة هارفارد — فى كتابه « الأسلحة النووية والسياسة الخارجية » هذا الكتاب صدر عام

١٩٥٧ ، ويدعو لاستخدام الاسلحه النووية التكتيكيه فى الحروب المحدودة ، لحسم الحرب فورا لصالح الولايات المتحدة ٠

وأدخل كيســنجر فى عام ١٩٦٠ ، تعديلا على نظريته ، على ضوء التفوق الكبير الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى فى مجـــال الذرة ، وانتاج الصواريخ عابرة القارات ٠ وظهر هذا التعديل فى كتابه «**ضرورة الاختيار**» ٠ ويدعو للاهتمام بالاسلحة التقليدية ، وبتدريب القوات على استخدام هذه الأســلحة ، فى الحروب المحدودة ، مع عدم اغفال الاهتمام بالاسلحة النوويه كعنصر ردع نهائى ٠

وظلت هذه السياسة ، محورا للسياسة الامريكية ، حتى تولى نيكسون الحكم عام ٦٨ ، ودخل معه هنرى كيسنجر الى البيت الأبيض ٠

دخل نيكسون البيت الابيض ، تحمله أصوات الذين راح يلح على أذهانهم طوال حملته الانتخابية بأنه هو الذى سيخرج الولايات المتحدة من ورطة فيتنام ٠ وبالتالى وضع كيسنجر نظرية « فتنمة حرب فيتنام » وتقضى بسحب القوات الامريكية تدريجيا من هناك ، وتقوية جيش حكومة سايجون ليتحمل عبء الحرب ضد الثوار مع استمرار الدعم الجوى الامريكى ٠ وفشلت هذه السياسة فى تحقيق أهدافها ، بينما فترة الأربع سنوات الأولى لنيكسون فى الحــكم تقترب من نهايتها ، ولم يف بوعده للذين انتخبوه ، وهو المتعطش على البقاء فى الحكم أربع سنوات أخرى ٠

وكان ذلك الفشل أحد الدوافع الى التقارب مع الاتحـــاد السوفيتى والصين ، لايجاد مخرج لأمريكا من الوحل فى فيتنام ، لا يريق ماء وجهها ، ويسمح لها بالخروج بشرفها ٠ وأود أن أتحفظ عند هذا الدافع ، فليس هو الوحيد وراء سياسة التقـــارب مع

الشرق . كانت هناك دوافع أخرى سبقته ، ودوافع غيرها ، سوف نتحدث عنها .

والحديث هنا يحتاج وقفه لنعود الى حدث كان نقطه تحول هامة فى الصراع الامريكى السوفيتى ، وفى تعديل مساره .

فى أكتوبر ١٩٦٢ ، اكتشفت الولايات المتحدة وجود صواريخ أقامها الاتحاد السوفيتى فى كوبا على مرامى البصر من الشواطىء الامريكية . واشتعلت أزمة هددت بصـــدام نووى بين الدولتين ، بسبب اصرار كنيدى على ازالة هذه الصواريخ . وتمسك خروشوف ببقائها .

وبتصاعد لهيب خطر الحرب الذرية مع تشبث كل منهمـــا بموقفه ، اتفق الطرفان فى النهاية على حل وسط . تعهد كنيدى بعدم تكرار محاولة خليج الخنازير لغزو كوبا ، وتعهد خروشـــوف بعدم استخدام كوبا كقاعدة استراتيجية عسكرية . ومن يومها تم تجميد الموقف الكوبى ، حتى لا يصبح مشكلة دولية بين البلدين .

ولكن أزمة كوبا جعلت الولايات المتحـــدة تدرك أن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تملك القدرة على انزال ضربة نووية ثانية مدمرة بالأخـــرى ، اذا بدأت احداهما بتوجيه ضربة نووية أولى ضد الأخرى . وهذا هو معنى ميزان الرعب النووى ، الذى حال دون وقوع صدام بينهما أثناء أزمة صـــواريخ كوبا ، والذى جعل الحرب النووية بينهما مسألة مستحيلة الوقوع . ونفس النتيجة استخلصها الزعماء السوفيت من تجربة كوبا ، وأدركوا من يومها أن اتفاق كنيدى وخروشوف سيكون البداية ــ لتحرك تدريجى ولكنه محسوب ليستند على مركز قوة ــ نحو التعاون مع الولايات المتحدة .

الاستراتيجية السوفيتية وحركة الزمن

على الجانب الآخر ، يدخل الاتحاد السوفيتي ، عصر الوفاق من مركز قوة فالسوفيت أصبحوا بالفعل قوة عالمية كبرى منتشرة في كل مكان • لهم وجود في الشرق الأوسط ، والبحر المتوسط ، والمحيط الهندي ، وجودهم هناك بصرف النظر عن مغزاه العسكري — يعطيهم عناصر ضغط أو تأثير على أوربا ، وأمريكا ، لقرب هذا الوجود من منابع البترول في الخليج العربي ، وبجوار مناطق حساسة في افريقيا وآسيا •• وقبل ذلك كله يقف الاتحاد السوفيتي في حالة تعادل تام مع الولايات المتحدة في مجال التسلح النووي الاستراتيجي • ويملك القدرة على ابادة مئات الملايين ، واحالة أرقى وأضخم المدن الأمريكية الى أكوام من الرماد ، بضربة نووية واحدة •

وهي نفس القدرة التي تملكها الولايات المتحدة هذه المرحلة • ومرحلة عصر الوفاق الذي يدخله الاتحاد السوفيتي الآن ، هي صفحة جديدة ، تطوى وراءها حقبة تاريخية تبدأ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة •

كانت هزيمة ألمانيا واليابان ، في الحرب العالمية الثانية معول هدم ، لحالة الخوف المشترك التي ربطت الاتحاد السوفيتي والحلفاء الغربيين ، في جبهة واحدة أثناء هذه الحرب • بعدها بدأت الحرب الباردة بينهما ، بالسير في أول خطوات احتواء الاتحاد السوفيتي

وحصر نفوذه داخل حدوده ، وباحساس الاتحاد الســـوفيتي بأن الولايات المتحدة ، التى تحتكر وحدها الأسـلحة الذرية ، تخطط لضرب الاتحاد السوفيتي ، فى الوقت الذى لايزال يحاول فيه أن ينهض من تأثير الخسائر الهائلة التى أنزلت به أبناء الحرب .

وأخذ الاتحاد السوفيتي يحشد كافة جهوده وامكاناته لكسر الاحتكار النووى الامريكى ، والمضى فى نفس الوقت ، فى بناء أساس اقتصادى متين .

وفى ٢٦ أغسطس ١٩٥٧ ، أعلن الاتحاد السوفيتى نجاح تجربة اطلاق أول صاروخ عابر للقارات وفى ٤ أكتوبر من نفس العام ، كان الاتحاد السوفيتي أول من دخل عالم الفضاء . باطلاق السفينة سبوتنيك ١ . حامله رائد الفضاء الأول يورى جاجارين . ووصل الاتحاد السوفيتي السباق ، حتى لا تبقى للولايات المتحده ميزه التفوق فى هـــذا المجال . حتى أصبح الآن يمتلك ١٥٠٠ صاروخ عابر للقارات . مقابل ١٠٥٤ صـاروخا يملكها الولايات المتحده ، و ٤٠٠ عواصة لاطلاق الصواريخ الذرية ، مقابل ٦٥٦ عواصه من هـــذا النوع لدى الولايات المتحدة . الى جانب أنواع أخرى عديدة من الصـــواريخ متوسطة المدى ، والقنابل النووية الاستراتيجية والتكتيكية ، والطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل من مختلف الأنواع .

ومع كل عام يمر ، كان الاتحاد السوفيتي ـ وكذلك الولايات المتحدة فى الجانب الآخر ـ تتكبد نفقات تتصاعد الى آفاق هائلة ـــ على السباق الذى لم يتوقف لانتاج وتطوير أنواع من الأسـلحة أشد فتكا ، وعلى عمليات التخطيط ، والتدريب ؛ ودراســـة فنون الحرب النووية أو التقليدية .

كانت جهود الاتحاد السوفييتي لتحقيق أقصى تقدم في مجالات التسلح تنبع أو تتمشى أساسا مع الخطوط العامة للاستراتيجية السوفيتية القائمة على حتمية الصدام بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي • وهي الاستراتيجية التي يصفها سكوكولوفسكي • أبرز خبراء الاستراتجيه السوفيتية المعاصرين بقوله • انه عندما تبدأ التناقضات الجوهرية بين الدول في بلوغ درجة قصوى من الحدة فان هـذه الدول تحسم تناقضاتها ومنازعاتهـا عن طريق الحرب • وعلى ذلك تعتبر الحرب ، شـكلا من أشـكال الصراع السياسي والطبقي • وهـذه المعايير تنطبق على ظروف العصر الذي نعيشه والذي تمتلك فيه الدولتان الكبريان الاسلحة النـووية • بحيث تضاعفت قوة المعدات المستخدمة في الحرب ، الى حد تضاعفت فيه فرص تحقيق أهداف سياسية حاسمة عن طريق الحرب •

وطرأ تطور على هذه النظرية في عام ١٩٥٠ بقابل من اعتبار الاسلحة النووية هي العنصر الوحيد لحسـم الحرب • ويعطى نفس الأهمية لعناصر أخرى منها الروح المعنويه للشـعب ، والروح المعنوية للجيش المقاتل — والقدرة على تنظيم القوات وتحريكها ، ومدى القدرة التنظيمية لدى القادة العسكريين •

وظلت تلك النظرة سائدة على أيام سـتالين حتى عدل الاستراتيجيون السوفيت عنها ، واعتبروا درجة التفوق النـووي هي العنصر الأساسي والذي يسبق أي عناصر غيره بمراحل ، في تحديد نتيجة الحرب • ومن ثم اندفع سباق التسلح الاستراتيجي بسرعة رهيبة •

في نفس الوقت كانت الولايات المتحـدة ، تجرب نظريات للحرب المحدودة • شهدناها في فيتنام • ولم يكن الاتحـاد السوفيتي يلاحق الامريكان في التهيئة لهذا المجال من الحروب •

وله وجهة نظر فى ذلك شرحها خروشوف فى عام ١٩٦١ بقوله . ان الدائرة الاستعمارية الغربية أصبحت تخشى أن تنتهى أية حرب عالمية بدمار الرأسمالية تماما . ولهــذا اختارت هــذه الدوائر الحروب المحدودة . كبديل للانتحــار نوويا . وان أى حرب استعمارية صغيرة ، سوف تطور الى حرب نووية عامة . ولهــذا علينا أن نكافح الحروب العالمية والحروب المحدودة معا .

وفى ٢٧ نوفمبر ٥٨ وقع حـدث يعتبر البداية للتيار الذى أدى الى أزمة صواريخ كوبا بعد ذلك بأربع سنوات . والى استرخاء الحرب الباردة . فى ذلك اليوم بعث خروشوف بمذكرة الى الدول الغربية يطلب فيها تسوية مشكلة برلين . واذا لم يتحقق ذلك فى خلال ستة أشهر . فسوف يوقع الاتحاد السوفيتى معاهدة صلح مع ألمانيا الشرقية . وسيسحب قواته من هناك . ويسلم حقوقه فى برلين . (ومنها حق الرقابة على طريق مرور الحلفاء الى المدينة) الى حكومة ألمانيا الشرقية .

وقتئذ لم تكن الدول الغربية تعترف بحكومة ألمانيا الشرقية . ومثل هذا الاجراء من جانب الاتحاد السوفيتى كان يعنى ارغامهـا على الاعتراف بها كأمر واقع ، لأن التفاوض حول مسائل المرور فى المدينة ، سيتم مباشرة مع حكومة ألمانيا الشرقية .

وبينما كانت مهلة الستة أشهر التى حددهـا خروشوف . تقترب من نهايتهـا ، كانت عوامل الانقســام ، داخل كل من المعسكرين الشرقى والغربى قد بدأت تظهر فى أوربا الغربيـــة (فرنسا) وفى الشرق الأقصى (الصـــين) . وجرت داخل كل معسكر عمليات تقييم شاملة لما يحـــدث داخل كل معســكر ، واحتمالاته فى المدى البعيد والفرص التى يتيحها الانقسام فى كل منهما ليستفيد منها الآخر كما جرت فى الوقت نفسه اعادة تقييم

داخل كل جانب لعناصر قوته وضعفه فى مواجهة الظروف الدولية المتغيرة • وفى اطار هذه المراجعة الشاملة للمواقف الدولية ـ ظهرت اتجاهات فى كل جانب ، تدعو لنزع السلاح ، وتخفيف التوتر بين المعسكرين •

ولكن هذه الاتجاهات ظلت مجرد آراء مطروحة للمناقشة ولم تتحول الى نظرية متكاملة تحمل احتمالات الأخذ بها فى المستقبل ، الا بعد أزمة صواريخ كوبا عام ٦٢ • لقد استمرت أزمة كوبا ستة أيام • وقفت خلالها الدولتان الأكبر على حافة حرب نووية • وفى الحقيقة • فان الأزمة قدمت للدولتين نموذجا مثاليا • لتجربة الأساليب الدبلوماسية فى معالجة مثل هذا الموقف الخطير •

الاسطول السوفيتى فى البحر المتوسط

واذا كانت أزمة كوبا قد أبرزت فعاليـــة وقوع الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييى وأدت بالتالى فى عام ١٩٦٢ الى تحديد أولى علامات الطريق الذى يمتد بمقيـــاس الزمن ، عشر سنوات الى الوفاق عام ١٩٧٢ .

فان أزمة كوبا التى بلغت ذروة اشتعالها بالحصار البحرى الأمريكى حول كوبا كانت تجربة هامة استخلص منها الاتحـــاد السوفيتى حقيقة أثرت بعد ذلك وطوال العشر سنوات التالية فى التفكير الاستراتيجى السوفيتى . وهذه الحقيقـــة نلحص فى أن التحرك السياسى فى أى مكان من العالم يصبح ، بغير قيمة اذا لم تكن وراءه قوة بحرية تسنده ، وتضفى عليه التأثير المطلوب .

ومن ثم بدأ الاتحاد السوفييى يولى اهتماما جديدا لتنميـــة قوته البحرية . وتطويرها . والتوسع فيها والتخطيط لخلق وجود بحرى له فى حياة العالم . وقد نجد تعبيرا دقيقا لهذا المعنى ، فى التصريح الذى أدلى به الأميرال نيقولاى سيجوتوف لصحيفة « العلم الأحمر » السوفيتية ، بعد أن أصبح للاسطول السوفيتى وجـــود فى البحر المتوسط اذ قال « لن يستطيع الاسطول السادس الامريكى أن يقوم الآن بمغامرات أمريكية ، دون أن يقلق من العقاب » .

ولا يخفى أن الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط كان أحد العناصر المؤثرة فى حركة السياسية الامريكية ، فيهما بعد ــ نحو

تخفيف التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى • وذلك بعد أن وصل السوفيت الى وضع حد لسيطرة الولايات المتحدة على البحر المتوسط وموازنة قوتها فيه •

وان وصول السوفيت الى خلق هذا الوجود البحر لهم فى البحر المتوسط ، يعتبر آخر مظهر قبل الوفاق ـ لقصة دخول الاتحاد السوفيتى الى الشرق الأوسط نفسه ، مجتازا أسوار الاحتواء حوله •

ولنتحرك مع أحداث هذه القصة حسب ترتيبها الزمنى •

خلال العشرين سنة الاولى بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ، لم يكن الشرق الأوسط يحتل مكانا متقدما فى أولويات السياسة السوفيتية •

ومع اتخاذ خطوات نحو اقامة جبهة موحدة لكل القوى المناهضة للاستعمار فى منتصف الثلاثينات ، لم يكن قد وجد فى الشرق الأوسط موقف ثورى محدد الأبعاد • فبريطانيا وفرنسا رغم أنهما تواجهان ـ المتاعب ، لا تزالان تمسكان بزمام الموقف •

وأثناء الحرب العالمية الثانية حينما كان وجود الدولة السوفيتية نفسه فى خطر لم تكن المصالح السوفيتية فى الشرق الأوسط تحت الأضواء •

وانتهت الحرب •• وبينما الاهتمام الأساسى للاتحاد السوفيتى يتجه نحو أوربا ، فان الاحساس بأهمية الشرق الأوسط ، قد بدأ يتحرك •

واتخذت السياسة السوفيتية مواقف محددة تجاه أحداث جديدة تتحرك على مسرح الشرق الأوسط ، مثل اسرائيل وثورة ١٩٥٢ فى مصر ، وحركة القومية العربية ، ثم تعدلت السياسة

السوفيتية تجاه هذه الأحداث مع اكتشاف آفاق ثورية في قلب المنطقة .

كانت مشكلة فلسطين قد قفزت الى الصف الأول من الأحداث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتغيرت السياسة السوفيتية ــ التى كانت معادية للصهيونية ــ لتتخذ موقف التأييد لاقامة اسرائيل .. وعادت هذه السياسة لتتغير من جديد .

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك رصيد متزايد من الاهتمام بالاتحاد السوفيتي .. ولم تستفد السياسة السوفيتية فى البداية من هذه الفرصة لأكثر من سبب فى مقدمتها وجهة نظر ستالين بأنه لا يوجد وسط بين المعسكرين الشرقى والغربى .. ولم تكن قد ظهرت بعد مبادىء عدم الانحياز والتعايش السلمى .

وقبيل وفاة ستالين عام ١٩٥٣ ظهرت دلالات محددة على تغير هذه النظرة ولكن التغير الأساسى لم يظهر الا بعد وفاته . ومن ذلك أن الموقف تجاه حركة القومية العربية أصبح أكثر قبولا .

والحقيقة ان اكتشاف الاحتمالات الثورية للعالم العربى كان نقطة التحول الكبرى فى السياسات السوفيتية فى الشرق الأوسط، فى فترة ما بعد ستالين .

وتحولت نظرة الرفض الى حكام مصر الجــــدد الذين أطاحوا بالملكية عام ١٩٥٢ الى نظرة تعاطف معهم . وبدأ التحول الفعلى فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ .

بعده جاءت صفقة الأسلحة الســـــوفيتية مع مصر فى نفس العام بداية تقارب كبير بين الاتحاد السوفيتى ومصر، مرتكزا على أرضية راسخة من تصادم مصالح الغرب فى كل مكان فى الوطن العربى مع المد المرتفع للقومية العربية ، وأكثر من ذلك من التقاء

عبد الناصر والاتحاد السوفيتى حول مصلحة حيوية مشتركة ، تتمثل فى اضعاف وتدمر مواقع النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط .

وعرض الاتحاد السوفيتى الأسلحة بكميات كبيرة ، وبشروط مناسبة لم تتوافر فيما يقدمه العرب . وكان هدف السوفيت الرئيسى فى هذه الفترة مناهضة العرب - لكن الصفقة أثرت بصورة مباشرة على الموقف السياسى ، فى المنطقه كلها . وارتبط الاتحاد السوفيتى أكثر ، بالمواجهة العربية الاسرائيلية .

وزادت أزمة السويس عام ٥٦ من دعم الروابط المصرية السوفيتية . خاصة بعد أن أرسل بولجانين انذاره الى بريطانيا ، وفرنسا ، واسرائيل باستخدام القوة لتدمير المعتدين واعادة السلام الى الشرق الأوسط وفى أعقاب أزمة السويس أذيع مبدأ ايزنهاور الذى أثار الاستياء فى العالم العربى ودفع العواصم العربية للاتجاه أكثر من ذى قبل نحو التقارب مع الاتحاد السوفيتى .

وفى عام ١٩٥٨ ، صارت الروابط السياسية ، والعسكرية والاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتى قوية . مستندة الى تأييد الاتحاد السوفيتى لمصر فى أزمة السويس . وبداية المرحلة الاولى للعمل فى السد العالى ، ووصول شحنات من الاسلحة ، وتوقيع قرض بمبلغ ١٧٥ مليون دولار .

لكن حركة الأحداث توقفت فجأة فالتحالف الجديد مع القومية العربية أصبحت تهدده العاصفة التى هبت فى سوريا بخلاف الشيوعيين والناصريين حول وحدة مصر وسوريا . وفى العراق باصطدام بين القوميين وبين الشيوعيين وعبد الكريم قاسم .

ورغم فتور العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فان مصر لم تغلق الباب نهائيا .. وأصرت على أن الخلاف بين الشيوعية

والقومية العربية مسألة داخلية محضة ، لا تؤثر على اعجاب العرب بالزعماء الشيوعيين مثل خروشوف ، وماوتسى تونج ، وتيتو وغيرهم ·

ولم يكن أى من الجانبين راغبا فى احراق كل الجسور بينهما · وأخذت أمواج الخلاف المتلاطمة تهدأ ·

لقد اعتبرت موسكو أن مصر هى الدولة الرئيسية فى العالم العربى ، ودورها غير محدود في أفريقيا ·

وأخذت الأحداث المتلاحقة في العراق تعزز من هذا التقييم لدور مصر · وكانت الحركة الشيوعية فى مصر صغيرة ، ومنقسمة الى جماعات متعددة · ولم يكن هناك بديل لقيادة عبد الناصر ، فى مصر ، وفى العالم العربى ·

وعادت الامور تتدفق فى مجراها السابق فتم فى أغسطس ٦٠ توقيع اتفاق المرحلة الثانية للسد العالى · وتبودلت الزيارات بين القاهرة وموسكو على كل المستويات ·

وزار خروشوف مصر ، تتويجا لهذه السياسة ، فى عام ١٩٦٤ واستقبل بحماس شعبى بالغ ·

وأكد الجانبان أن الصداقة المصرية السوفيتية بلغت ذروة جديدة · وذلك يرجع بدرجة لا يمكن اغفالها للمبادرة الشخصية من جانب خروشوف ·

وبعد أسابيع من هذه الزيارة كان خروشوف قد أقصى من منصبه · ولم تمض أسابيع أخرى على ذلك حتى حصل عبد الناصر على تأكيد بأن السياسة السوفيتية نحو مصر لن تتغير ولهذا السبب وصل جاكوب ماليك نائب وزير الخارجية السوفيتية الى القاهرة

وتبعه فى ديسمبر عام ١٩٦٤ الكسندر شيليبين عضو المكتب السياسى ·

ثم زار عبد الناصر ، موسكو فى أغسطس ٦٥ ، وفى مايو ٦٦ زار كوسيجين مصر وزارها جروميكو وزير الخارجية فى أواخر مارس ٦٧ ·

واتسعت آفاق التعاون بين البلدين وترددت أنباء عن معاهدات سرية تعطى الاتحاد السوفيتى قواعد بحرية على البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ، ومطارات ومنشآت عسكرية أخرى فى الصحراء الغربية · ومصر العليا · ولكن لم تكن هناك قواعد عسكرية بالمعنى المألوف ، لأن ذلك كان سيخلق تعقيدات سياسية بل كانت هناك ترتيبات تسمح للسفن الحربية السوفيتية بالتزود بالوقود والماء ، واجراء عمليات اصلاح على الشواطىء المصرية ·

ان وجهة النظر السوفيتية ·· كانت تقوم على أن انشاء اسرائيل يخدم هدفا تقدميا وهو اضعاف مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط · حيث كانت بريطانيا تمثل سلطة الانتداب على فلسطين ، ولم يكن هناك مجال لتقارب سوفيتى مع الحكومات العربية فى ذلك الوقت ·

وبعد قيام اسرائيل ، تلاحقت التغيرات فى الشرق الأوسط · فالمظاهرات المعادية للغرب فى مصر والعراق وسقوط الملكية فى مصر · وأحداث سوريا ، أخذت تجذب أنظار السوفييت ·

ومع رغبة اسرائيل فى أن تكبر وتتطور فانها كانت فى حاجة الى مئات الألوف من المهاجرين الجدد · كانت أبواب هجرة اليهود السوفييت قد أغلقت فى العشرينات على إعتبار أن الاتحاد السوفيتى هو وطنهم · وان كان قد سمح لهم بالهجرة من بعض الدول الشيوعية · مثل بولندا وبلغاريا ورومانيا ·

وبعد قيام اسرائيل اشتعلت حملات الهجوم الصهيونية من داخل اسرائيل • وخارجها ضد الاتحاد السوفيتي ليسمح بهجرة اليهود • وكان فتح باب الهجرة يعني اعتراف بفشل مبدأ القومية السوفيتية الواحدة ، وهو ما يمكن أن يخلق سابقة خطيرة •

وأخذت نظرة السوفيت للتجربة الاسرائيلية ، تتغير • ولم يعد الاتحاد السوفيتي ينظر الى اسرائيل كمجتمع اشتراكي • ووصفت الكيبوتز بأنها معسكرات لاستغلال العمال • وهوجمت الصهيونية لتعاونها مع النازية في الماضي واتهمت اسرائيل من السوفيت ، بأنها أداة في يد الاحتكارات الرأسمالية الامريكية تستخدمها في مؤمراتها ضد العالم العربي •

ان ما حققه الاتحاد السوفيتي من نجاح في الشرق الأوسط في السنوات الماضية يرجع الى أسباب عديدة • ففي البداية لم يوصم الاتحاد السوفيتي بلعنة الاستعمار •

فطوال أربعين سنة كان غائبا عن المنطقة التي يرتع فيها الاستعمار الغربي • وكان هناك مزاج عام ضد الاستغلال الرأسمالي وصدرت في الدولة الثورية في المنطقة قرارات تأمين الصناعة والبنوك وتدعيم قطاع الدولة في مجال الانتاج والخدمات ولاح اتجاه تدريجي نحو الاشتراكية • وخلال السنوات العشر من ٤٨ الى ٥٨ اشتعل الصراع حول فلسطين وقامت الجمهورية العربية المتحدة ، والثورة في العراق واحتل الشرق الأوسط مكانا بارزا وسط مناطق الخطر في العالم •

***

واذا كانت الاتجاهات الاشتراكية في بعض دول الشرق الأوسط • من أسباب التقارب بين الجانبين ، فان مصالح الاتحاد

السوفيتى كدولة كبرى كانت تلعب دورها . والزعماء السوفيت أوضحوا مرارا أن المنطقة العربية القريبة من حدودهم الجنـوبية تمثل اهتماما حيويا لهم . وفى قلب المنطقة اتسع وجود السوفيت فى ثلاثة مجالات حيوية .

❊ ففى مجال البترول .. تمثل امتيازات البترول الممنوحة للشركات صرح النفوذ السياسى الغربى كله فى الشرق الأوسط . حيث تزود أوربا الغربية ب ٨٠٪ من احتياجاتها البترولية .. وهى مرتبطة وبالتالى بالقواعد العسـكرية والتكتلات العدوانية الغربية وعلى هذا فوجود الاتحاد السوفيتى قرب مصادر البترول ليس لحاجته اليه ، ولكن أهميته سياسية بالدرجة الأولى لتأثيره المعنوى على دول الغرب .

❊ وفى مجال التجـارة والمساعدات اتسـعت العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد السوفيتى ودول الشرق الأوسط . وكانت معدلات الفائدة أقل بكثير من تلك التى تقدمها الدول الغربيـة . ومختلف الوكالات الدولية

والعالم العربى سوف يحمـل آفاقا متسعة للمنتجـات السوفيتية .

ومن ناحة أخرى ـ فالاتحاد السوفيتي قدم كل المعـدات العسكرية لتسليح الجيشين المصرى ، والسورى وكميات من الاسلحة للعراق ، والجزائر ، واليمن ، والسودان . وذلك قد كسر الاحتكارات الغربية لسوق السلاح فى المنطقة .

❊ والمجال الثالث .. هو وجود الاسطول السـوفيتى فى البحر الأبيض المتوسط وذلك الوجود جزء من سـياسة شاملة تستهدف دعم قدرة الاتحاد السوفيتى على العمل فى مختلف أجزاء العالم .

وقبل وجوده • كان هناك اعتقاد فى الاتحاد السوفيتى بأن القيمة الفعلية لقوة بحرية ضعيفة فى البحر المتوسط هى قيمـــه محدودة • وان ايجاد قوة ضخمة يجعلها رادع لأى ضربات نووية من حاملات الطائرات الامريكية وغواصات بولاريس • وذلك جانب من الأهداف وراء قرار السوفيت بايجاد أسطول ســـــوفيتى فى البحر المتوسط • وبخلاف الأهداف العسكرية • هناك أيضا أهداف سياسية تنعكس فى الرغبة فى استخدام فعال البحرية لدعم المركز السوفيتى فى البحر المتوسط وانهاء انفراد الاسطول السادس به • وكذلك دعم مركز مصر • وباختصار ، فان وجوده يعنى احتكارات الغرب للبحر المتوسط قارب نهايته •

وهناك وجهة نظر سوفيتية فى هذا المجال شرحها جروميكو بقوله : (ان السفن السوفيتية فى البحر المتوسط تخدم مصالح السلام والامن الاوربيين والاتحاد السوفيتى وباعتبـــاره دولة من دول البحر الاسود فهو أيضا من دول البحر المتوســـــط • ومن الطبيعى أن نهتم بالســـلام الامن فى المنطقة والمتاخمـــة لحدودنا الجنوبية •

الصراع تحت ظلال ميزان الرعب النووى

أصبح للاتحاد السوفيتى اذن ، وجود فى البحر المتوسط . وهذا الوجود ، كان هدفا من أهداف الاستراتيجية الجديدة ، بعد أزمة كوبا ، كما سبق أن أوضحنا . وهى الاستراتيجية التى وصفها البروفيسور ب. فاتيكيوتيس أستاذ دراسات الشرق الأوسط بجامعة لندن فى أحد مؤلفاته بقوله : ان الاتحاد السوفيتى بدأ يوزع قواته البحرية بتخطيط دقيق ، على امتداد بحار العالم ، فى شرق البحر المتوسط ، وفى المياه المطلة عى منطقة شرق افريقيا ، وفى المحيط الهندى .

ويقول فاتيكيوتيس أن هذا التطور فى الاستراتيجية البحرية السوفينية ، كان يعكس تحولا فى ميزان القوى ، يحمل بدوره تأثيرا على الشرق الأوسط كله ، وفى ظل هذا التحول لابد لجهود الدول الكبرى من أجل دعم وجودها فى الشرق الأوسط ، أن تمتد الى المحيط الهندى ، كما امتدت من قبل الى البحر المتوسط .

وفى هذا الصدد ، كان اغلاق قناة السويس منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، يخلق صعوبة استراتيجية أمام رغبة الاتحاد السوفيتى فى دعم وجوده البحرى فى المحيط الهندى وان لم تكن تلك هى الفائده الوحيدة التى أفادت الولايات المتحدة من اغلاق القناة . فهناك المكاسب المالية التى عادت عليها من ابحار نافلات البترول الى أوربا وهى تقطع مسافة أطول ، باعتبار الولايات المتحدة تملك أكبر

أسطول لناقلات البترول فى العالم · وهناك أيضا مكسب عسكرى نتج عن اطالة فتره وصول المساعدات العسكرية السوفييتية الى فيتنام الشمالية بعد شحنها من الموانىء السوفيتيه لتصل فى وقت يعادل ثلاثة أضعاف الوقت الذى كانت هذه السفن تقطعه عندما كانت تمر عبر قناة السويس ·

على أن الفائدة الأخيرة تعتبر مسألة نسبيه لأن المساعدات كانت تصل على أية حال · وظل الكسب الأهم والأساسى يتمثل فى اعاقة المساعى السوفييتية لاكتساب وجود بحرى قوى فى المحيط الهندى · ومع ذلك استطاع السوفييت أن يعوضوا بقدر ما ، هذه الخسارة ، بما تحقق لهم فى حرب الهند وباكستان ، التى اعتبرت نتيجتها هزيمة دبلوماسية للولايات المتحدة ·

كذلك ، كان السباق نحو المحيط الهندى ، أحد أسباب ، اقدام الولايات المتحده على اغراق ايران بكميات هائلة من الأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة ، وقيام الامريكيين بانشاء قاعدة لايران تتكلف ٦٠٠ مليون دولار على خليج شاه باهار ، وهى أضخم قاعدة من نوعها فى المحيط الهندى وذلك ، الى جانب أهـــداف أخرى — منها أهداف أمريكية لخلق نوع من التهديد أو الضـــغط على دول البترول العربى · ومنها أهداف ايرانية تتمثل فى رغبة الشاه فى السيطرة على منطقة الخليج العربى ·

ورغم هذا التسابق على اكتساب مواقع النفوذ ، أو السعى من جانب كل من واشنطن وموسكو ، على الحـــد من تزايد قوة الأخرى ، فان كلا منهما ، أصبحت تراعى فى تحركاتها ألا تتجاوز حدودا معينة ، تحكمها ظروف المنطقة ، التى تتحرك فيها ، والجو السياسى السائد فيها ، والفرصة المتاحة أمام كل طرف لتحقيق أهدافه ، وهذا الحذر فى خطوات كل منهما ، تحكمه حركة ميزان

الرعب النووى ، الذى ظل يلعب دوره بين الحين والآخر ، منذ ظهرت قوة تأثيره لأول مرة أثناء أزمة صواريخ كوبا فى أكتوبر ١٩٦٢ . وهناك حالتان واضحتان ، أثبتت فيهما ميزان الرعب النووى ، وجوده ، الأولى فى أوربا الشرقية ، والثانية فى الشرق الأوسط .

*** ففي عام ١٩٦٨ دخلت القوات السوفيتية تشيكوسلوفاكيا ، وعقدت الاجتماعات على أعلى مستويات السلطة فى واشنطن تناقش ما يجب عمله . وطالب البعض بانذار أمريكى بالتدخل . وتعالت الصيحات فى الولايات المتحدة تهدد السوفييت ثم لم يحدث شيء . لماذا ؟ .**

الحقيقة يرويها الصحفى الأمريكى اندروتيوللى فى كتابه « كبار الجواسيس » يقول : ان المخابرات الألمانيـة علمت بخطة تدخل القوات السوفيتية فى براغ قبل تنفيذها . وعقد على الفور اجتماع بدار السفارة الامريكية فى بون ، حضره السفير الامريكى ، والجنرال ويسل رئيس المخابرات الالمانية ، لبحث ما يجب عمله .

وأوضح السفير الأمريكى أن التعليمات التى وصلت اليه من واشنطن ، تقطع بأن الولايات المتحدة لا تستطيع ـ فى ظروف انشغالها بحرب فيتنام ـ أن تدخل فى سباق مع السوفيت نحو حافة الحرب النووية ، حول مسألة داخلية فى المعسكر الشيوعى .

*** وفى الاتجاه المضاد لعب ميزان الرعب النووى دوره أيضا ، أثناء المذبحة التى دبرها الملك حسين للفلسطينيين فى سبتمبر ١٩٧١ . وروت مجلة نيوزويك الأمريكية ما حدث ..**

• الفصل الثالث •

بريجنيف فى واشنطن

•• ويبدأ عصر الوفاق

كانت التطورات الملاحقة فى تيار الصراع الامريكى السوفيتى فى أنحاء العالم ، والتى سبق ذكرها تمهد الأرض للتقارب المنتظر • لهذه التطورات التى شملت الاقتناع بضرورة التعاون بعد ما أظهرت أزمة كوبا استحالة الحرب بينهما بفعل ميزان الرعب النووى ، ووجود الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط ، ووجود أساطيله فى البحر المتوسط وزحفها الحثيث نحو المحيط الهندى ، ورغبة أمريكا فى استمرار وقف اطلاق النار على جبهة قناة السويس ، وحرص الدولتين على تفادى أية مواجهة خطرةبينهما بسبب النزاع العربى الاسرائيلى ، والرغبة فى انهاء حرب فيتنام العقبة الرئيسية فى طريق التعاون بينهما •

هذه التطورات هيأت جو العلاقات بينهما للتفاهم • وبين التفاهم ، والتقارب خطوة • خطوة حاسمة ، مشحونة بادراك كل منهما بوجود أسباب مباشرة ومشتركة ، تدفعه نحو البحث عن سياسة عالمية جديدة تنهى عصر الحرب الباردة •

ولعل فى مقدمة هذه الأسباب ذلك السباق الرهيب لانتاج وامتلاك أشد الأسلحة فتكا وتدميرا ، بينما الاحداث والمنطق يؤكدان بشكل قاطع ، أن هـــذه الأسلحة لن تستخدم ، وبالتالى يصبح الانفاق عليها والذى تتصاعد الى آفاق خيالية ، ضربا من الجنون .

ومن هذه الاسباب أيضا ، المتاعب الاقتصادية الحادة ، داخل كل منهما ، بينما الانفاق على التسلح يتسرب فى بالوعة ، جوفها مفتوح على اتساعه ، لا ترتوى !

وجاءت الخطوة الحاسمة ، فى زيارة نيكسون فى مايو عام ١٩٧٢ . وهناك وقع مجموعة من الانفاقات تتناول كل شىء ابتداء من الحد من سباق التسلح النووى الاستراتيجى الى التبادل الثقافى . وارست هذه الانفاقية الأساس للتقارب الحديد بين الشرق والغرب .

وبعدها بعام واحد ــ وفى يونيو ١٩٧٣ ــ زار ليونيد بريجنيف واشنطن ، ووقع مع نيكسون سلسلة من الانفاقيات حول التعاون فى كافة المجالات ، ربطت مســتقبل الولايات المتحدة بمســتقبل الاتحاد السوفيتى .

وبدأ عصر جديد ، أسموه عصر الوفاق . وهو عصر ، يحمل ملامح غير مألوفة لجيلنا ، الذى اعتاد على مشــهد الصراع الأمريكى السوفيتى ، كظاهرة يومية ، تشبه مشهد الشمس ، تأتى شرقا فى الصباح ؛ وتذهب غربا فى المساء . على أن انقــلاب المشهد بهــذه الصورة ليس بالمفاجأة المذهلة ، لكل من يتابع بعين المراقب ، توالى الأحداث على المسرح العالمى ، منذ عام ١٩٦٢ . ثم ان أسس هذا العصر ــ أو هذا التحول التاريخى فى علاقات الدولتين ــ كانت قد بدأت تتكون بالفعل منذ سنوات قليلة مضت .

التحول فى الولايات المتحدة :

كان الخبراء الاستراتيجيون والسياسيون مسرعين فى صياغة نمط جديد لسياسة خارجية نسطة ، ولكنها تعترف بحدود وحجم قوة الولايات المتحدة وتعتمد أساسا على تحركات اقتصادية وسياسية ودبلوماسية ، وليس على القوة العسكرية ، فى التعامل مع الكرملين •

وعندما انتهى الخبراء — بقيادة هنرى كيسنجر — من صياغة هذا الشكل الجديد للسياسة الخارجية الأمريكيه ، قدمه نيكسون للأمريكيين بهذا الوصف : ان عالم السبعينات يختلف عن العالم الذى عشناه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية •

وكما قال مورتون هالبرمين أحد خبراء السياسة الامريكية ، ان هذه السياسة كانت تتطلب من نيكسون أن يعترف بأن الحرب الباردة « الايدبولوجية » قد خفتت ، وان الاتحاد السوفيتى أصبح قوة عالمية تضارع الولايات المتحدة • وعلينا أن نقبل الوجود السوفيتى فى مختلف انحاء العالم ، مثلما كنا مقتنعين بوجودنا فى مختلف المناطق • وكان على نيكسون أيضا أن يخطو خطوة واسعه فى تهيئة الولايات المتحدة لقبول الصين كقوة مؤثرة فى المجتمع العالمى •

كانت المتاعب الاقتصادية الداخلية فى الولايات المتحدة ، الثقل الذى رجح فى النهاية ، كفة سياسة التقارب الجديدة ، التى كانت تميل تدريجيا فى اتجاه التقارب كلما حل فوقها سبب من الأسباب التى أوضحناها •

هذه المتاعب ظهرت فى تدهور مركز الدولار ، والعجز المزمن فى ميزان المدفوعات (ويتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٥٠٠ مليون دولار

سنويا) ، وتضخم جامح ، وفوق ذلك كله ، هناك الاستثمارات الأمريكية الضخمة فى أوربا ، والممثلة فى ١٠٠٠ (ألف) مليون دولار استثمارات ، واكثر من ١٠٠٠ شركة تساهم فيها رؤوس أموال أمريكية ، وتمثل مبيعاتها نسبة ٣٠٪ من مبيعات الشركات فى الولايات المتحدة • وادراك رجال الاعمال الامريكيين أن مبيعاتهم فى أوربا أنقذتهم من كارثة أثناء فترة الكساد الأخيرة فى بلادهم •

وخطورة هذه الاستثمارات فى أوربا أنها سلاح ذو حدين ، لأن أى قرارات تتخذ فى طوكيو ، وبون ، وباريس ، يمكن أن تؤثر على الحياة اليومية للمواطن الأمريكى •

وهذه الخطورة لم يبدأ الامريكيون فى الشعور بها ، الا بعد أن تحولت أوربا الموحدة فى السوق الأوربية المشتركة الى منافس اقتصادى قوى ، يرفع حواجز جمركية فى وجه المنتجات الامريكية • واحتمالات حدوث خلافات سياسية بينهما ، قد تترتب عليها مواقف اقتصادية متعارضة •

على ضوء هذه الظروف الراهنة والمحتملة ، لاح الاتحاد السوفيتى أمام الولايات المتحدة كمجال متسع للاستثمارات الامريكية • ففى أراضيه ثروات طبيعية هائلة ، والتقديرات الأولية لمصادر سيبيريا تقدر أن فى باطنها ٨٧٪ من ثروات الاتحاد السوفيتى الطبيعية وانها تحتوى على ٦٠٠ ألف مليون طن فحم حجرى ، وقوة مائية دافقة تكفى لتوليد أكثر من ١٠٠٠ مليون كيلوات من الكهرباء ، وآلاف الملايين من أطنان البترول ، وغاز طبيعى يبلغ حوالى ٧٥٠٠ ألف مليون متر مكعب •

وكل هذه الثروات ، مدفونة فى باطن الارض ، وامكانيات الاتحاد السوفيتى لا تتيح له أن يستثمر منها سوى ١٠٪ حتى الآن •

ومن ناحية الاستثمارات فانهـا ستعود بأرباح هائلة على الأمريكان ، وكانت البشـائر في ذلك الاتفـاق الذى وقعته شركة أوكسيدنتال بترولييم كوربوريشن الأمريكية مع السوفييت ، لتمويل صناعة البتروكيماويات برأسمال يبلغ ٨ آلاف مليون دولار · ومده الاتفاق ٢٠ سنة ·

وبعد زيارة نيكسون لموسكو عام ١٩٧٢ ، احتلت الولايات المتحدة المركز الثانى ـ بعد ألمانيا الغربية ـ فى سوق التعامل التجارى مع السوفييت ، بعد أن كانت فى آخر قائمة المتعاملين معه من الدول الغربية ، فى عام ١٩٦٨ · وتحركت بعد زيارة بريجنيف لواشنطن لتزيح ألمانيا الغربية من المركز الأول ، لتحتله هى بعد أن تقرر أن يبلغ حجم التعاون بينهما فى عام ١٩٧٣ ، ١٠٠٠ مليون دولار ، وان يتضاعف ليصل فى عام ١٩٧٦ الى ٣٠٠٠ مليون دولار ·

وفى مجال الطاقة ـ أزمة المستقبل فى أمريكا ـ وقعت شركة أوكسينتال ، وشركة أيل باسو ناشونال غاز ، اتفاقا مبدئيا لنقل الغاز بالأنابيب من سيبيريا الى معامل نحوله الى غاز سائل فى أطراف سيبيريا ، ليصل من هناك الى الساحل الغربى للولايات المتحدة ·

ومن أدق التعبيرات عن الإهتمام الأمريكى بالسوق السوفيتية، ما قالته مجلة « تايم » (فى عدد ٢٥ يونية ٧٣) : أن موسكو أصبحت أشبه « بمسكة » عند رجال الأعمال الأمريكيين · فان روكفلر الرأسمالى الكبير افتتح فرعا لبنك تشيزمانهاتن فى المبنى رقم ١ فى ميدان كارل ماركس بموسكو · وسيعقبه افتتاح بنوك أخرى ·

وشهدت هذه الفترة احتفالات بالتعاون الأمريكى السوفيتى استهلكت فيها جالونات من الفودكا ، والشمبانيا ، والكونياك ، نخب صحة السلام والصداقة ·

التحول في الاتحاد السوفيني :

وفى الوقت نفسه ، وخلال السنوات القليله الماضية ، ــ وقبل أن يلعب العنصر الاقتصادى دوره الحاسم فى تشكيل سياسة التقارب السوفيتى الجديدة ــ كانت المناقشات تجرى على أوسع نطاق داخل قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى • واختلفت الآراء بين مؤيد ، ومعارض •

وحسمت المناقشات (وان لم تتوقف نهائيا) فى عام ١٩٦٨ ، بقرارين بتسمان بأهمية بالغة، اتخذهما بريجنيف ، يؤيده الفريق المؤيد للتقارب • وهذان القراران هما : السعى من أجل وقف سباق التسلح الاستراتيجى مع الولايات المتحدة ، والثانى جذب التكنولوجيا الغربية كوسيلة لعلاج أمراض الاقتصاد السوفيتى •

ومن هذين القرارين نبعت سياسة بريجنيف الخارجية الجديدة ، التى شرح خطوطها فى تقرير أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى أبريل عام ١٩٧٣ وتضمن التقرير ، ايضاح أن دور الاتحاد السوفيتى فى مجال السياسات العالمية ، رهين بنجاحه فى بناء قوته الاقتصادية على أقوى الأسس • ووجه بريجنيف نقدا عنيفا للاساليب المتخلفة فى مجال الانتاج • وانتهى التقرير الى أن التعاون المتبادل مع الغرب الرأسمالى ، وعلى رأسه الولايات المتحدة ، سيساعد على حل كثير من المتاعب الاقتصادية الداخلية •

والحقيقة أن عام ١٩٧٢ كان أسوأ أعوام الاقتصاد السوفيتى • فالناتج القومى الاجمالى هبط فى ذلك العام ، بحيث كان أقل بنسبة ٢٪ عن العام السابق له ، وهبط الدخل القومى ، ومعدل الفرد بدرجة حادة • وقل المحصول الزراعى بنسبة ١٥٪ عن الهدف المحدد له • ووجد بريجنيف أن العلاج ، يوجد فى الخبرة الغربية

والمعدات التكنولوجيه العربية الحديثة . وانها الطريق الوحيد لدفع الانتاج الى مستويات المنافسة العالمية .

ومن ثم تحددت سياسة بريجنيف الجديدة ، التى وصفهـا فى مأدبة أقيمت تكريما له أثناء زيارته لواشنطن فى يونيه ١٩٧٣ بهذه الكلمات . ان التقارب مع الولايات المتحدة ، هو أساس الخارجيه السوفيتية ، وفى عبارات أخرى قال بريجنيف أيضا عند وصوله الى واشنطن فى بدء زيارته لها انه يأمل أن ينقل « العـلاقات بين الولايات المتحده والاتحاد السوفيتى من مرحلة التعايش السلمى الى مرحلة جديده من الاعتماد المتبادل ، تدعمها صفقات تجاريه تستمر ٢٠ أو ٣٠ عاما » .

وبتفصيل أكثر قليلا قالت وكالة تاس السوفيتية : كان من قبيل الوهم فى وقت ليس ببعيد ، أن نتخيل فرعا لبنك تشـيز مانهاتن ، يفتح فى موسـكو . أو تعرض سـيارات سوفيتية فى معرض أمريكى ، أو أن تبحر باخرة ركاب سوفيتية فاخرة تحمل سياحا سوفيت الى نيويورك أو أن يدرس رواد الفضاء الامريكيون اللغة الروسية ، استعدادا لرحلة فضاء أمريكية سوفيتية مشتركة . ولكن ذلك كله أصبح الآن حقائق وليس أوهاما .

وأكثر من ذلك ، هناك مفاوضات سـياسية ، بين البلدين ، حول مسائل متنوعة ؛ ومشروعات مشتركة ، تعطى فائدة متبادلة » .

بعد الوفاق ..
نتائج وتوقعات

فى يوم ٢٥ يونية ١٩٧٣ ، وبعد ستة أيام من المحادثات ، بين الرئيس الامريكى نيكسون ، والزعيم السوفيتى بريجنيف ، ما بين العاصمة واشنطن ، وكامب ديفيد المقر الريفى لنيكسون ، وسان كليمنت المقر الصيفى له ، غادر الزعيم السوفيتى الولايات المتحدة . وقد أتم مجموعات من الاتفاقيات قال عنها هنرى كيسنجر ((عندما يفكر المرء فى جميع الاتفاقيات التى وقعت فى الأيام القليلة الماضية ، فانه يرى بوضوح شبكة من العلاقات التى تغير تماما هيكل السياسة الخارجية الذى ساد لفترة ما بعد الحرب)) .

وبعد مغادرة بريجنيف للعاصمة الامريكية ، فى ليل ذلك اليوم ٢٥ يونية ـ صدر البيان المشترك عن الزيارة ، يعلن أن الفرص تحسنت لتخفيف حدة التوتر العالمى ، وانهما سيواصلان البحث عن وسائل للحد من الأسلحة الاستراتيجية ، واعادة السلام الى الهند الصينية ، وتوسيع نطاق التجارة بين البلدين ، والعمل على ايجاد حلول مبكرة للعلاقات بين الشرق والغرب . وانهما اتفقا على تفادى المواجهات العسكرية ، وتجنب المواقف التى يمكن أن تسىء الى العلاقات بينهما . وتعهدا بالتشاور العاجل اذا لاح أى تهديد بحرب نووية فى أى مكان فى العالم .

وضمن سطور البيان المكون من ٣٧٠٠ كلمه . لم يتجاوزالجزء الخاص بالشرق الأوسط ٨٩ كلمة . خلاصتها أن كلا منهما عرض موقفه من المشكلة . ولم يضمن البيان أى اشارةالى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، الذى اتفقا فى بيانهما المشترك فى لقاء القمة فى موسكو عام ١٩٧٢ على اعتباره أساسا لحل الأزمة .

وهكذا بقيت أزمة الشرق الأوسط معلقة ، فى هذا اللقاء التاريخى الذى اتفق فيه نيكسون وبريجنيف، على كل الموضوعات التى بحثاها باستثناء الشرق الأوسط وحده .

ولما ألح مراسلوا الصحف الامريكية والأجنبية الذين ازدحمت بهم مدينة سان كليمنت ؛ لمعرفة مصير الموقف فى الشرق الأوسط ، والذى يعتبر منطقة مشحونة بخطر الحرب رد عليهم كيسنجر بقوله «ان الجانبين أعربا عن قلقهما العميق تجاه الموقف، ولكنهما لم يتوصلا الى أى حل . وان ازمة الشرق الأوسط كانت من أشد الأمور تعقيدا أثناء المحادثات . ومن الانصاف القول بأن الجانبين لم يتفقا على كيفية حل هذه المشكلة ولكنهما اتفقا على تجنب حدوث صدام بينهما فى الشرق الأوسط » .

هكذا .. اتفقا على الا تكون أزمة الشرق الأوسط ، سببا فى اضعاف التعاون بينهما .

وفى نهاية ذلك الطريق الطويل الذى بدأ بصراع سنوات الحرب الباردة ، وانتهى بالتعاون فى كل الميادين . تبقى لنا ملاحظة ، تتمثل فى ذلك التحول الكبير فى موقف الولايات المتحدة ، من رفض الوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط ، والتعلل فى فترة من الفترات بأنه كان السبب فى ذلك السيل المتدفق من الأسلحة الأمريكية الى اسرائيل ، الى قبول هذا الوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط ، والاعتراف به والحرص على اذاعة بيان فى

واشنطن قبل بدء زيارة بريجنيف لواشنطن بيوم واحد ، يعلن استمرار الولايات المتحدة بامداد اسرائيل بمزيد من طائرات الفانتوم .

وهذا التحول ، اتخذ هذه المواقف :

١ ـ في رسالة نيكسون السنوية الى الكونجرس عن السياسة الخارجية في فبراير ١٩٧٠ حذر من أن انفراد احدى الدول الكبرى بالنفوذ في الشرق الأوسط ، أمر غير مقبول . وأن أمريكا لن تقبل انفراد الاتحاد السوفيتي بهذه المنطقة كلها . وربط نيكسون الأهمية الاستراتيجية والسياسة للمنطقة بأمن وسلام أوربا .

٢ ـ في رسالته السنوية الى الكونجرس في فبراير ١٩٧٢ أعلن نيكسون أن ادخال المنافسة العالمية الى الشرق الأوسط يتعارض كلية مع الجهود المبذولة للتوصل الى مهادنة في العلاقات الامريكية السوفيتية . وأن تزويد موسكو لمصر بصواريخ سام والقاذفات بعيدة المدى ينطوي على نتائج خطيرة بالنسبة لاستقرار ميزان القوى محليا في الشرق الأوسط ، واقليميا في شرق البحر المتوسط ، وعالميا في أنحاء العالم كله . كما انه يهدد العلاقات بين الشرق والغرب . وان حلف الأطلنطي لا يستطيع تجاهل النتائج المحتملة بالنسبة لاستقرار بين الشرق والغرب . وان الاتحاد السوفيتي حقق ميزات عسكرية لنفسه في المنطقة ، وهو أمر يتعارض مع سلام الشرق الأوسط .

٣ ـ بعد عودة نيكسون من زيارته لموسكو في مايو ١٩٧٢ ، قال ان الاتحاد السوفييتي أصبح موجودا في الشرق الأوسط . وانه يعترف بهذا الوجود ، وبأن لكل من الدولتين مصالح هامة في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

بعد ذلك كله ، ما هو دورنا ؟

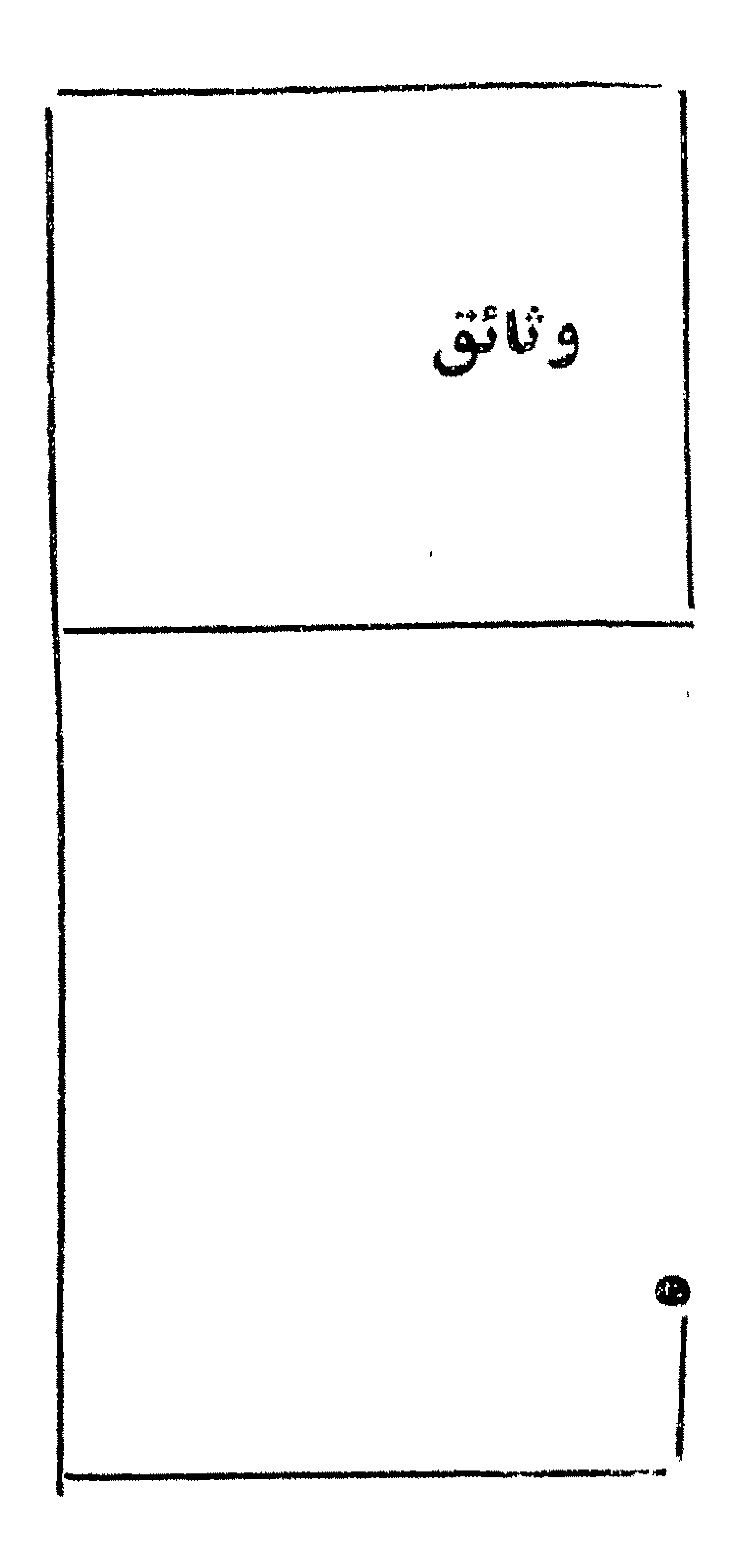
يجب أن ندرك أولا : أن التعاون بين الاتحـاد السـوفيه
والولايات المتحدة فى عصر الوفاق · لا يعنى الغاء التنافس بينهما
فمثلما كان العنصر الاقتصادى يلعب دوره المؤثر فى حركة التقار
بينهما ، فان العنصر الاقتصـادى سـيظل يلعب دوره فى اثار
التنافس بينهما . فالتنافس مستمر ، وستشهد منطقتنا جانبا
كبيراً منـه . لأن فى هـذه المنطقة مصـالح واسـتثمارات هائلة
للدولتين . وتلك مهمة مطلوب لها دور على المستوى العربى .

وثانيا : ان التعاون بين موسـكو وواسـنطن لا يلغى ارادة
الدول الصغيرة فى تقرير مصير أمورها بنفسها . كل ما يستطيع
ان يمنع أى انفجار فى أى منطقة من العالم ، من ان يجر الدولتين
اليه . واستخدام ارادة الدول الصغيرة فى وسط عالم الكبار
الجديد هو مهمه مطلوب لها دور على مستوى العالم الثالث ودول
عدم الانحياز .

**واذا كانت أزمة الشرق الأوسـط قد تركت بغير حل · فليس
معنى ذلك انها مستعصية على أى حل . والحل الذى نراه ـ وقد
لايراه غيرنا ـ لابد أن يأخذ شكل الرد الطبيعى على أطماع اسرائيل
التى لا تتوقف عند حد . ذلك ان رفض الانسحاب من الأراضى
التى تحتلها الآن ليس نهاية المطاف عندها . فهى تخطط لاقامة
دولة كبرى صناعية تسيطر على الشرق الأوسط كله .. حدودها
مفتـوحة مع الدول العربيـة .. أموال البترول العـربى تمـول
صناعاتهـا .. وأسـواق الدول العربيـة كلهـا سـوق مفتوحة
لمنتجاتها .. ومنابع البترول العربى على مرمى قوتها العسكرية**

المتزايدة لحسابها وحساب الولايات المتحـدة .. ومن أجـل ذلك كله ، كانت هذه المشاهد المتتابعة فى حركة السياسة الامريكية .

وعلى ضوء هذه المتغيرات الجوهرية فى السياسات العالمية ، كان لابد لمواقفنا السياسية من مراجعة .. تستند على أســاس قوتنا الذاتية ، وامكانياتنا العربية ، وروابطنا مع دول العالم على اختلافها . فلقد تغير كل شيء وامتزجت الالوان فى هذا العالم .


وثائق

معاهدة الصداقة بين ج. ع. م. والاتحاد السوفيتى

(القاهرة ـ ٢٧ مايو ١٩٧١)

ان الجمهورية العربية المتحده واتحاد الجمهوريات الاستراكية السوفيتيه اذ يؤمنان ايمانا راسخا ، بأن مواصلة تطوير الصداقة والتعاون الشامل بين الجمهورية العربية المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية تتفق ومصالح شعبى الدولتين ، وتخدم قضية تدعيم السلام العالمى .

واذ يستلهمان مثل النضال ضد الامبريالية والاستعمار ، وفى سبيل حرية الشعوب واستقلالها وتقدمها الاجتماعى مصممين على خوض النضال باستمرار من اجل توطيد السلام والأمن العالميين ، وفقا للنهج الثابت الذى يتبعانه فى سياستهما الخارجية السلمية .

واذ يؤكدان وفاءهما لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة ورغبة كل منهما فى تثبيت وتدعيم العلاقات التقليدية .

علاقات الصداقة المخلصة القائمة بين كلتا الدولتين والشعبين ، عن طريق عقد معاهدة صداقة وتعاون ، تكون أساسا للتطور المطرد لتلك العلاقات .

وقد اتفقا على مايلى :

المادة الأولى : يعلن الطرفان المتعاقدان الساميان رسميا ، أن صداقة راسخة لاتنفصم عراها ستقوم على الدوام بين كلا البلدين وشعبيهما ، وانهما سيعملان فى المستقبل أيضا لتطوير وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون الشامل القائمة بينهما فى المجال السياسى والاقتصادى والعلمى والفنى والثقافى والمجالات الأخرى على أساس مبادىء احترام السياده وسلامة الأراضى وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لبعضها والمساواة فى الحقوق والمنفعة المتبادلة .

المادة الثانية : ان الجمهورية العربية المتحده التى جعلت هدفهـــا التحول الاشتراكى للمجتمع واتحاد الجمهوريات السوفتية ، بوصـــفه دولة اشتراكية سوف يتعاونان تعاونا ونبقا فى توفير الظروف اللازمة لصيانة ومواصلة تطوير المكاسب الاجتماعية والاقتصادية لشعبيهما ٠

المادة الثالثة : وسعيا منهما الى العمل بأقصى جهد لحفظ السلام العالمى وأمن الشعوب ، ستستمر الجمهورية العربية المتحـــده واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتيه بكل حزم ، فى بذل الجهود الراميه الى التوصل الى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، وتأمينه وفقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحده ٠

وتطبيقا لسياستها الخارجية السلمية سيناضل الطرفان المتعاقدان الساميان من اجل السلام ، وتخفيف التوتر الدولى والتوصل الى نزع السلاح العام الشامل وحظر السلاح النووى وغيره من اسلحة الدمار الشامل ٠

المادة الرابعة : واسترشادا بالمثل العليا لحرية ومساواه جميع الشعوب يندد الطرفان المتعاقدان الساميان بالامبريالية والاستعمار بجميع أشـكالهما ومظاهما وسيظلان يناضلان ضد الامبريالية من أجل تصفية الاستعمار تصفية تامة ونهائية تنفيذا لاعلان الأمم المتحده الخاص بمنح الاستقلال لجميع البلدان والشعوب المستعمرة كما سيظلان يناضلان بدأب ضد التمييز والتفرقة العنصرية ٠

المادة الخامسة : سيواصل الطرفان المتعاقدان الساميان العمل فى المستقبل على توسيع وتعميق التعاون الشامل وتبادل الخبرة فى المجالات الاقتصـــادية والعلمية والفنية وذلك فى الصناعة والزراعة والرى والاستفادة من الثروات الطبيعية وتنمية مصادر الطاقة واعداد الفنيين والمتخصصين فى مجالات الاقتصـــاد الأخرى وسينمى الطرفان التجارة والملاحة بين كلتا الدولتين على أساس المنفعة المتبادلة وعلى أســاس مبادىء نظام الدول الأكثر رعاية ٠

المادة السادسة : سيعمل الطرفان المتعاقدان الساميان على مواصــلة تطوير التعاون بينهما فى مجالات العلوم والفنون والآداب والتعليم والصـــحة والاذاعة والتلفزيون والسينما والسياحة والرياضة البدنية وغيرها من المجالات ٠ كما سيعمل الطرفان على توسيع التعاون والاتصالات المباشرة بين التنظيمات السياسية والاجتماعية للعاملين وبين المؤسسات الصناعية والهيئات الثقافية والعلمية بقصد التعريف بشكل أعمق بحياة وعمل وانجازات شعبى كلا البلدين ٠

المادة السابعة : واذ يهتم الطرفان المتعاقدان الساميان اهتماما عميقا بتأمين السلام وأمن الشعوب ويعيران أهمية كبيرة لتنسيق أعمالهما على الصعيد الدولى فى النضال من أجل السلام وتحقيقا لهذا الهدف سيتشـــــاور الطرفان على مختلف المستويات بانتظام حول جميع المسائل الهامة التى تخص مصالح كلتا الدولتين .

وفى حالة نشوء أوضاع تشكل حسب رأى كلا الطرفين تهديدا للسلام أو خرقا للسلام فانهما سيتصلان ببعضهما على الفور بقصد تنسيق موقفيهما من أجل ازالة التهديد الناشيء أو اعادة السلام .

المادة الثامنة : وتعزيزا للقدرة الدفاعية للجمهورية العربية المتحدة سيواصل الطرفان المتعاقدان الساميان تطوير التعاون فى المجال العسكرى على أساس الاتفاقات المناسبة فيما بينهما ويشمل هذا التعاون بشكل خاص العون فى تدريب أفراد القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة وفى استيعابهم للعتاد وللأسلحة التى يتم توريدها الى الجمهورية العربية المتحدة من أجل تقوية قدرتها على ازالة آثار العدوان وكذلك تقوية قدرتها على مواجهة العدوان عموما .

المادة التاسعة : وانطلاقا من أهداف ومباديء هذه المعاهدة يعلن كل من الطرفين المتعاقدين الساميين أنه سوف لايدخل فى أحلاف وسوف لايشترك فى أية تكتلات لمجموعة من الدول أو يشترك فى أعمال أو اجراءات موجهة ضد الطرف المتعاقد السامى الآخر ..

المادة العاشرة : يعلن كل من الطرفين المتعاقدين الساميين أن تعهداته بموجب الاتفاقات الدولية السارية لا تتناقض مع أحكام هذه المعاهدة ويتعهد بعدم الدخول فى أية اتفاقات دولية تتنافى معها .

المادة الحادية عشرة : ستبقى هذه المعاهدة سارية المفعول لمدة خمسة عشر عاما ابتداء من اليوم الذى تصبح فيه نافذة المفعول .

واذا لم يعلن أحد الطرفين المتعاقدين الساميين قبل انقضاء المدة المشار اليها بسنة عن رغبته فى انهاء مفعول المعاهدة ستبقى نافذة المفعول لمدة الخمس سنوات اللاحقة وهكذا مالم يخطر أحد الطرفين المتعاقدين الساميين الآخر بسنة قبل انقضاء السنوات الخمس الجارية بأنه ينوى انهاء مفعولها وذلك بصورة كتابية .

المادية الثانية عشرة : ان هذه المعاهدة يجب التصديق عليها وستصبح نافذة

المفعول منذ يوم تبادل وثائق التصديق الذى سيتم فى أقرب وقت بمدينة موسكو ٠

حررت هذه المعاهدة من أصلين كل منهما باللغتين العربية والروسية ولكل من النصين نفس القوة ٠

تحريرا فى مدينة القاهرة ـ الثالث من ربيع الآخر سنة ١٣٩١ هجرية الموافق السابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٧١ ميلادية ٠

قرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

اتخذه مجلس الأمن فى جلسته برقم ١٣٨٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ :

ان مجلس الأمن اذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير فى الشرق الأوسط٠

واذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب ، والحاجة الى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة فى المنطقة ٠

واذ يؤكد أيضا ان جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق :

١ ـ يعلن ان تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامـة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، وهذا يقتضى تطبيق المبدأين التاليين :

(أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى النزاع الأخير٠

(ب) انهاء كل ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واقرار الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها ٠

٢ ـ ويؤكد المجلس الحاجة الى :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة ٠

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ٠

(ج) ضمان عدم انتهاك الأراضى والاستقلال السياسى لأية دولة فى المنطقة عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح ٠

٣ ـ يطلب من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا يتوجه الى الشرق الأوسط لاقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة فى الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الوارده فى هذا القرار .

٤ ـ يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص فى أقرب وقت ممكن .

زيارة نيكسون لموسكو

(البيان المشترك ٢٩/٥/١٩٧٢)

وقد أعلن البيان المشترك الذى وقعه نيكسون وبريجنيف :

« غطت المناقشات مجالا واسعا من القضايا ذات الأهمية المشتركه ، وكانت صريحة وشاملة . وحددت بدقة أكبر تلك المجالات التى توجد فيها فرص تنمية وتعاون أكبر بين الدولتين ، وكذلك المجالات التى يختلف فيها موقف الجانبين .

« وأقر الجانبان وثيقة بعنوان : « مبادىء أساسية للعلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية ، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية » ، ووقعها الرئيس نكسون نيابة عن الولايات المتحدة ، والسكرتير العام بريجنيف ، نيابة عن الاتحاد السوفيتى ، مسترشدين فى ذلك بالرغبة فى وضع العلاقات الامريكية ـ السوفيتية على أساس أكثر ايجابية واستقرارا . وواضعين فى الاعتبار مسئوليتهما فى الحفاظ على السلم العالمى ، وتيسير تخفيف التوتر الدولى .

« والجانبان مقتنعان بان نصوص تلك الوثيقة تفتح امكانيات جديده لتنمية العلاقات السلمية والتعاون الذى يعود بالنفع على الجانبين ، بين الولايات المتحدة الأمريكية ، واتحاد الجمهوريات السوفيتية .

« وقد اتفق الجانبان ، بدراسة شتى مجالات العلاقات الثنائية بينهما ، على ان تحسين العلاقات أمر ممكن ومرغوب فيه . وقد أعربا عن عزمهما الأكيد على العمل وفقا للنصوص الوارده فى الوثيقة المذكورة .

« ونتيجة التقدم الذى أمكن احرازه فى المفاوضات التى سبقت اجتماع القمة ، وخلال الاجتماع نفسه ، تحقق التوصل الى عدد من الاتفاقات الهامة » وسيؤدى ذلك

الى زياده التعاون الثنائي في مجالات الاهتمام المشترك ، وكذلك في المجالات المتصله بقضية السلام والتعاون الدولي .

اولا : المسائل الثنائية :

تحديد الأسلحة الاستراتيجية

« أعطى الجانبان اهتماما اوليا لمشكلة التقليل من خطر الحرب الذريه ، وهما يعتقدان ان الحد من التنافس في مجال الأسلحة الاستراتيجية ، سيكون من شأنه الاسهام بشكل هام وملموس في هذه القضية .

« ويعلق الجانبان أهمية كبيرة على معاهده تحديد الشبكات الصاروخيه المضاده للصواريخ ، والاتفاق المؤقت المعقود بينهما على تدابير معينة فيما يتعلق بتحديد الأسلحة الهجومية الاستراتيجية .

« وتشكل هذه الاتفاقات ، التي عقدت نتيجة المفاوضات في موسكو ، خطوه هامة صوب الحد من سباق الأسلحة ، وإنهائه في آخر الأمر . انها تعبر محدد وملموس عن عزم الجانبين على الاسهام في تخفيف التوتر الدولي ودعم الثقه بين الدول ، وكذلك تنفيذ الالتزامات التي اضطلعا بها في معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية (المادة السادسة) .

والجانبان مقتنعان بأن انجاز الاتفاقات السالفه ، خطوة عمليه صوب انقاذ البشرية من خطر نشوب حرب ذرية . وبناء على ذلك ، فان هذا الانجاز يتفق مع المصالح الحيوية للشعبين الأمريكي والسوفيتي ، وكذلك مع المصالح الحيوية لسائر الشعوب جميعا .

« ويعتزم الجانبان مواصلة المفاوضات الايجابيه لتحديد الأسلحة الهجوميه الاستراتيجية ، واجراء هذه المفاوضات بروح النية الحسنة واحترام المصالح المشروعة لكل من الجانبين ، ومراعاة مبدأ الأمن المتكافيء .

« كذلك فان الجانبين مقتنعان بأن الاتفاقية التي تتناول وسائل التقليل من خطر نشوب حرب ذرية بينهما - والموقعة في واشنطن خلال سبتمبر ١٩٧١ - لاتخدم مصالح الشعبين السوفيتي والامريكي فحسب ، بل مصالح البشرية كلها

العلاقات التجارية والاقتصادية :

« اتفق الجانبان على التدابير التى ستستهدف اقرار ظروف أفضل لتنمية الروابط التجارية والاقتصادية بينهما • وهما متفقان كذلك على أن العلاقات الواقعية قائمة بالنسبة لزياده الروابط الاقتصادية ، وهذه الروابط يتعين انماؤها على أساس النفع المتبادل ، وطبقا لشرائع التعامل الدولى التى تلقى قبولا عاما •

« وقد قرر الجانبان ، اعتقادا منهما بأن عقد اتفاق تجارى بينهما سيخدم هذه الأهداف ، أن يستكملا فى المستقبل القريب العمل اللازم لعقد مثل هذا الاتفاق كما اتفقا على ان من المرغوب فيه اتخاذ ترتيبات ائتمانية لتنمية التجارة المتبادلة وبذل جهود مبكره لحل سائر القضايا الماليه والاقتصادية • كذلك تم الاتفاق على أن التسوية الخاصة بعقد الاعارة والتاجير ، ستكون موضع مفاوضات تجرى فى نفس الوقت مع مفاوضات الاتفاق التجارى •

« وقد قرر الجانبان . من أجل توسيع وتيسير الروابط التجارية بين البلدين، ومن أجل العمل على وضع ترتيبات محدده ، انشاء لجنة تجارية مشتركة ، تحدد أول اجتماع لها فى موسكو فى صيف عام ١٩٧٢ •

« وسيعمل كل جانب على تشجيع وضع ترتيبات عمل فعالة بين المنظمات والشركات فى كلا البلدين ، وكذلك تشجيع التوصل الى عقود طويله الأجل •

التعاون فى مجال الصحة :

« عقد الجانبان اتفاقا بشأن التعاون فى مجال الصحة ــ وهو بمثابة بداية مثمرة لمشاطرة المعلومات ــ والتعاون فى الحملات ــ على عدوين مشتركين ، هما : المرض والعجز • وسوف تركز جهود الابحاث الدولية فى البرنامج على مشاكل الصحة البيئية وسوف يتسع هذا التعاون من بعد ، لشمل مشاكل صحية أخرى ذات أهمية مشتركة •

العلوم والتكنولوجيا والتعليم والثقافة :

« يلاحظ الجانبان أهمية الاتفاق على المبادلات والتعاون فى المجالات العلمية والفنية والتعليمية والثقافية وغيرها ، خلال عام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ ، والموقع فى موسكو فى ١١ ابريل ١٩٧٢ • ان الاستمرار والتوسع فى هذه المبادلات الثنائية فى تلك

المجالات سيؤدى الى تفاهم أفضل ، ويساعد على تحسين الحالة العامة للعلاقات بين الدولتين .

التعاون في الفضاء :

« أكد الجانبان ، وهما يضعان فى اعتبارهما الدور الذى يلعبانه فى مجال الاستكشافات السلمية للفضاء الخارجي ، أهمية تحقيق مزيد من التعاون الثنائى فى هذا المجال . وقد اتفق الجانبان ، على أن تتم أول تجربة التحام مشترك بين مراكب الدولتين ، براودهما ، فى عام ١٩٧٥ ، على أن تتضمن التجربة زيارات من رواد كل جانب لسفينة الجانب الآخر .

ثانيا : القضايا الدولية :

أوروبا :

« وخلال المناقشات حول الموقف الدولى سجل الجانبان أن هناك تطورات ايجابية نحو تخفيف التوتر فى أوروبا .

« ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ينويان القيام بمزيد من الجهود من أجل تأمين مستقبل سلمي لأوروبا ، خال من التوترات والأزمات والصراعات ، منطلقين فى ذلك من ادراكهما لأهمية التطورات التى تجرى فى أوروبا بالنسبة للسلام العالمى، ومن أن الحربين العالميتين قد نبعتا من أوروبا ، وانهما يشتركان مع القوى الأخرى فى مسئوليات والتزامات بحكم اتفاقيات وضعت لهذا الغرض .

« وان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى متفقان على ضرورة احترام سيادة أراضى جميع الدول فى أوروبا .

« ان الجانبين يريان فى الاتفاقية الرباعية الموقعة فى ٣ سبتمبر ١٩٧١ والخاصة بالقطاعات الغربية فى برلين مثالا طيبا على التعاون المثمر بين الدول المعنية ، بما فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ويعتقد الجانبان ان تنفيذ هذه الاتفاقية فى المستقبل القريب ــ بالاضافة الى الخطوات الأخرى ــ سيؤدى الى مزيد من تحسين الموقف الأوروبى ، وسيساهم فى ايجاد الثقة الضرورية بين الدول .

« وقد رحب الجانبان بالاتفاقية الموقعة بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية ألمانيا الاتحادية فى ١٢ أغسطس ١٩٧٠ ، وسجلا أهمية مواد هذه الاتفاقية ، وكذلك

الاتفاقيات الأخرى التى تم توقيعها أخيرا فى خلق الثقة بين الدول الأوروبية ٠

« ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على استعداد للقيام بمساهمات مناسبة فى الاتجاهات الايجابية بالقارة الأوروبية فى سبيل التوصـــل الى انفراج حقيقى ، ومن أجل تطوير علاقات التعاون السلمى بين الدول فى أوروبا على أساس مبادىء وحدة الأراضى ، وعدم السماح بانتهاك الحدود ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية والمساواة على أساس السيادة والاستقلال ونبذ استخدام قوة أو تهديد بها ٠

« وان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي متفقان على أن اجراء مشاورات متعددة الأطراف توصلا الى عقد مؤتمر للأمن والتعاون فى أوروبا يمكن أن تبدأ بعد التوقيع على البروتوكول الرباعى النهائى لاتفاقية ٣ سبتمبر ١٩٧١ ٠ وان الحكومتين متفقتان على أنه يجب الاعداد لهذا المؤتمر بحرص حتى يمكن له ان يبحث بشكل ملموس المشاكل المحدودة والخاصة بالأمن والتعاون ، وبذلك يساهم فى التخفيف التدريجى للأسباب التى تكمن وراء التوتر القائم فى أوروبا ٠ ويجب عقد هذا المؤتمر فى موعد يتم الاتفاق عليه بين الدول المعنية ، ولكن دون تأخير كبير ٠

« ويجب التوصل الى اتفاقيات مناسبة بين الدول المعنية حول اجراءات المفاوضات الخاصة بهذا الموضوع فى اجتماع خاص وبأسرع ما يمكن من الناحية العملية ٠

الهند الصينية :

« وقد أوضح كل جانب وجهة نظره بخصوص الحرب المتصلة فى فيتنام ، والموقف فى منطقة الهند الصينية ككل ٠

« وقد أكد الجانب الأمريكى الحاجة لانهاء الصراع العسكرى بأسرع مايمكن وأكد من جديد التزامه بالمبدأ القائل ان المستقبل السياسى لفيتنام الجنوبية يجب ان يترك لشعب فيتنام الجنوبية لكى يقرر بنفسه ، بعيدا عن التدخل الخارجى ٠

وأوضح الجانب الأمريكى وجهة نظره القائلة بأن أسرع وانجع سبيل لتحقيق الأهداف المذكورة آنفا هو من خلال المفاوضات التى تؤدى الى عودة جميع الأسرى الأمريكيين فى المنطقة (الى وطنهم) وتنفيذ وقف اطلاق النار فى منطقة الهند الصينية كلها تحت اشراف دولى ، وان يتبع ذلك انسحاب جميع القوات الأمريكية الموجودة فى

فيتنام الجنوبية خلال فترة أربعة أشهر ، وأن تترك المسائل السياسية لشعوب الهند الصينية لتقررها بنفسها .

« وقد أعادت الولايات المتحدة تأكيد استعدادها للدخول فى مفاوضات جادة مع الجانب الفيتنامى الشمالى من أجل تسوية الحرب فى الهند الصينية على أساس عادل للجميع .

« وأكد الجانب السوفيتى تضامنه مع الكفاح العادل لشعوب فيتنام ، ولاوس، وكمبوديا ، ومن أجل حريتهم واستقلالهم وتقدمهم الاجتماعى ، وان الاتحاد السوفيتى اذ يؤيد بحزم مقترحات جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وجمهورية فيتنام الجنوبية والتى تقدم أساسا واقعيا وبناء لحل مشكلة فيتنام ، فانه يدعو الى وقف قصف جمهورية فيتنام الديمقراطية ، والانسحاب الكامل والتام لقوات الولايات المتحدة الأمريكية . وحلفائها من فيتنام الجنوبية ، حتى تتوفر لشعوب الهند الصينية امكانية تقرير مصيرها بنفسها ودون تدخل خارجى .

الشرق الأوسط :

« بسط الجانبان موقفهما من هذه القضية ، وهما يؤكدان تأييدهما لتسوية سلمية فى الشرق الأوسط طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

« ويؤكد الجانبان ، وهما يلحظان أهمية التعاون البناء للأطراف المعنية مع السفير يارنج ، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة ، رغبتهما فى الاسهام فى نجاح مهمته . ويعلنان كذلك استعدادهما لأن يلعبا دورهما فى تحقيق تسوية سلمية فى الشرق الأوسط . ان تحقيق مثل هذه التسوية ، فى نظر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، من شأنه فتح آفاق لاعادة الموقف فى الشرق الأوسط لحالته الطبيعية والسماح بوجه خاص ببحث خطوات اخرى لتحقيق استرخاء عسكرى فى تلك المنطقة .

نزع السلاح :

« اعرب الجانبان عن موقفيهما حول قضايا الحد من السلاح ونزعه . ويسجل الجانبان ان أعمالهما المشتركة والمتوازية خلال السنوات الأخيرة قد سهلت التوصل الى عقد معاهدات لتقييد سباق التسليح ، او لمنع بعض أنواع الأسلحة التى تعد

خطيرة للغاية • ويسجل الجانبان كذلك ان هذه المعاهدات قد لقيت ترحيبا من جانب الغالبية العظمى من دول العالم ، وهى الدول التى اشتركت فى توقيع هذه المعاهدات •

« ويرى الجانبان ان الاتفاق الخاص بتحريم تطوير وانتاج وتخزين أسلحة الجراثيم والأسلحة السامة ، والذى ينص على تدمير الموجود منها هو اجراء جوهرى من أجل نزع السلاح ، وأنهم ـ بالاشتراك مع بريطانيا العظمى ـ قد تبادلوا وثاق هذا الاتفاق الذى أصبح مفتوحا لتوقيع جميع الدول • ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى سيواصلان جهودهما من أجل التوصل الى اتفاقية دولية خاصة بالأسلحة الكيماوية •

« ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، انطلاقا من الحاجة الى ان يضعا فى حسابها مصالح أمنهما على أساس مبدأ التكافؤ ، وبدون الاساءة الى مصالح أمن دولة ثالثة ، سيشتركان بشكل ايجابى فى المفاوضات التى تستهدف صياغة تدابير جديدة من أجل الحد من سباق الأسلحة وانهائه • والهدف النهائى هو نزع السلاح العام والشامل ، بما فى ذلك نزع السلاح الذرى ، تحت اشراف دولى مشدد، ويمكن لمؤتمر عالمى لنزع السلاح أن يلعب دورا فى هذه العملية •

دعم الأمم المتحدة :

« سيعمل الجانبان جاهدين على دعم فعالية الأمم المتحدة على أساس المراعاة الدقيقة لميثاق المنظمة • وهما يعدان الأمم المتحدة أداة للحفاظ على السلام والامن الدوليين ، تثبط المصادمات وتنمى التعاون الدولى وبناء على ذلك فانهما سيبذلان وسعهما لتأييد جهود الامم المتحدة من أجل صالح السلم الدولى •

« وقد أكد الجانبان ان الاتفاقيات وأوجه التفاهم التى أمكن التوصل اليها فى مفاوضات موسكو ، وكذلك طبيعة هذه المفاوضات ومحتواها ، غير موجهة بأى شكل ضد أية دولة اخرى • وهما يعملان انطلاقا من ادراكهما لدور ومسئولية وحقوق سائر الدول المعنية ، وكذلك الالتزامات والاتفاقات الدولية القائمة ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة وأهدافه •

« ويعتقد الجانبان انه أمكن فى خلال المحادثات التى جرت على أعلى مستوى احراز نتائج ايجابية • وهذه النتائج تدل على أن من الممكن رغم الخلافات بين الولايات

المتحدة والاتحاد السوفيتي في النظم الاجتماعية والمذاهب ومبادىء السياسة ، تنمية التعاون بين شعوب الدولتين يعود بالنفع على الجانبين ، لصالح دعم السلام والأمن الدولى .

« وقد أعرف الجانبان عن رغبتهما في مواصلة الاتصال الوثيق بصدد عدد من القضايا التى كانت موضع النقاش ، كما اتفقا على أنه من المفيد اجراء مشاورات منتظمة بشأن القضايا ذات الأهمية المتبادلة ، بما في ذلك الاجتمـــاعات على أعلى مستوى .

« وقد دعا الرئيس نيكسون ، اعرابا عن تقديره لكرم الضيافة الذى لقيه فى الاتحاد السوفيتى ، السكرتير العام بريجنيف والرئيس بودجورنى ورئيس مجلس الوزراء كوسيجين لزيارة الولايات المتحدة فى وقت ملائم للجانبين . وقد لقيت هذه الدعوة القبول » .

زيارة بريجنيف لواشنطن

(البيان المشترك ١٩٧٣/٦/٢٥)

قال البيان « ان المسائل الخاصة بالحفاظ على السلام الدولى وتدعيمه كانت نقطة رئيسية فى المحادثات بين الرئيس نيكسون والسكرتير العام بريجينيف ..ان الفرص مواتية للتوصل الى اتفاقية دائمة تتعلق باتخاذ اجراءات أكثر اكتمالا للحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية . ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعلقان أهمية كبرى على الاشتراك مع جميع الدول فى قضية تدعيم السلام ، وخفض عبء الاسلحة ، والتوصل الى اتفاقيات للحد من الاسلحة واجراءات نزع السلاح » .

أوضح البيان « ان الجانبين قد اعربا عن رضائهما العميق حول عقد الاتفاقية الخاصة بانهاء الحرب فى فيتنام واستعادة السلام . وقد أكد الجانبان أنه يجب تنفيذ هذه الاتفاقيات بدقة ، كما أكدا الحاجة الى تحقيق نهاية مبكرة للصراع العسكرى فى كمبوديا . وقد اكدا ايضا موقفهما من ان المستقبل السياسى لكل من فيتنام ولاوس وكمبوديا يجب ان يترك لشعوب هذه الدول (دول الهنـــد الصينية) لتقريره بدون أى تدخل من الخارج » .

اعلن البيان « ان الجانبين اذ يعكسان موقفهما الايجابى المستمر نحو المؤتمر

صفحه

الجزء الثالث

الصراع الامريكى السوفيتى

● الفصل الأول ●

● الفصل الثانى ●

● الفصل الثالث ●

وثائق

1 — Time, American.

2 — Newsweek, American.

3 — Military Review (The American Army Command Bulletin).

4 — The Times, English.

5 — The Sunday Times, English.

6 — Herald Tribune, International.

14 — Power at the Pentagon, by Jack Raymond. Kissinger.

15 — Military Strategy. Soviet Doctorine and Concepts, by V Scolsvsky.

16 — Contemporary American Foreign and Military Policy, by Burton Sapin.

1 — SUEZ — The Twice Fought War, by Kenneth Love.

2 — The Israeli Air Force Story, by Robert Jackson.

3 — New Map and Different Relations, by Moushe Dayan.

4 — World in Review, by Lester Markel.

5 — Soviet American Rivalry in the Middle East, by J. Hurewitz.

6 — Middle East Policies — The Military Dimension, by J. Hurewitz.

7 — The Struggle for the Middle East, by Walter Laqueur.

8 — The World since 1939, by Carroll Quigley.

9 — A Foreward Strategy for America, by Bernard Brodie.

10 — Super Spies, by Andrew Tully.

11 — Middle East, by Bernard Luis.

12 — The Middle East — Temple of Janus, by Desmond Stewart.

13 — Nuclear Weapons and Foreign Policy, by Henry

سلسلة « كتاب الاذاعة والتليفزيون

صـــدر منها :

	العنوان	المؤلف
١	ـ لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٢	ـ ممنوع من التداول (٤ طبعات)	محمود عوض
٣	ـ قصة الضمير المصرى الحديث	صلاح عبد الصبور
٤	ـ عصر التليفزيون	عبد المنعم حسن
٥	ـ مذكرات محمد كريم (جزآن)	محمود على
٦	ـ اسلاميات	سامح كريم
٧	ـ ليالى مسرحية	عبد القادر حميده
٨	ـ لقاء بين جيلين	محمد عبد الحليم عبد الله
٩	ـ أهل المغنى	مجدى نجيب
١٠	ـ أفكار اسرائيلية	محمود عوض
١١	ـ الأحاديث البهيـــة فى شرح الحياة الفنية	فؤاد معوض (فرفور)
١٢	ـ العطش	حسن محسب
١٣	ـ نافذة على الحياة	عبد الرحمن سليمان
١٤	ـ ترويض المراهق	فريد حسن
١٥	ـ خفايا النكسة	عاطف الغمرى

● الكتاب القادم ●

البنات والبحر — عبد المنعم صبحى

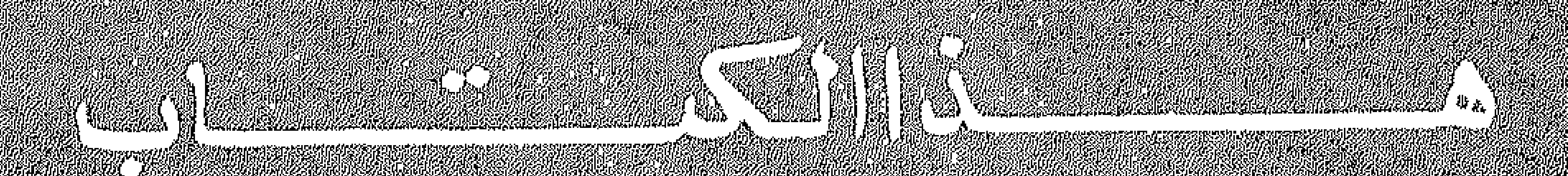
رقم الايداع بدار الكتب ٤١١٤/١٩٧٣

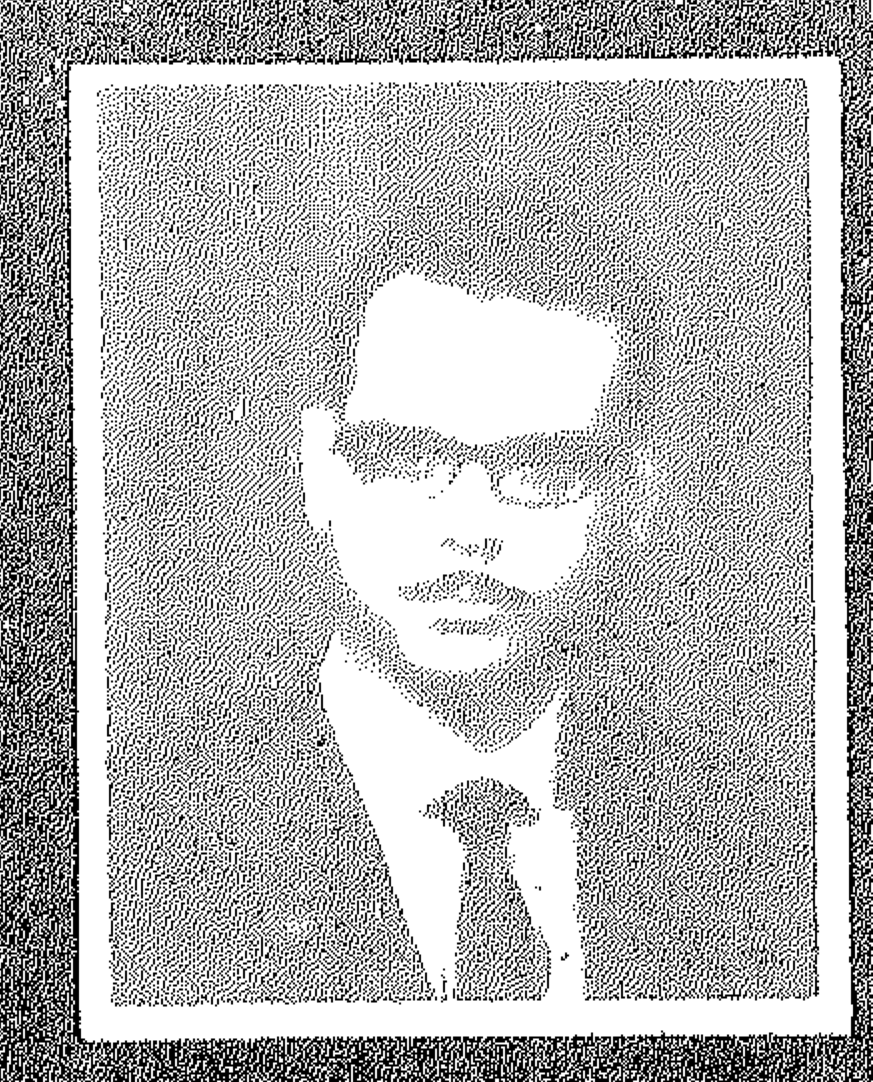
● المراسلات :

التحرير : ١١١٧ كورنيش النيل ـ ماسبيرو
تليفون ٧١٠٥٥/٧١٠٥٦/٧١٠٥٨

الادارة : ٢٦ شارع منصور ـ باب اللوق
تليفون ٣٣٩٧٦ ، ٣٣٩٧٧
(صندوق بريد ١٣٢٨)

الاعلانات : يتفق عليها مع ادارة المجلة تليفون ٣٣٩٧٨





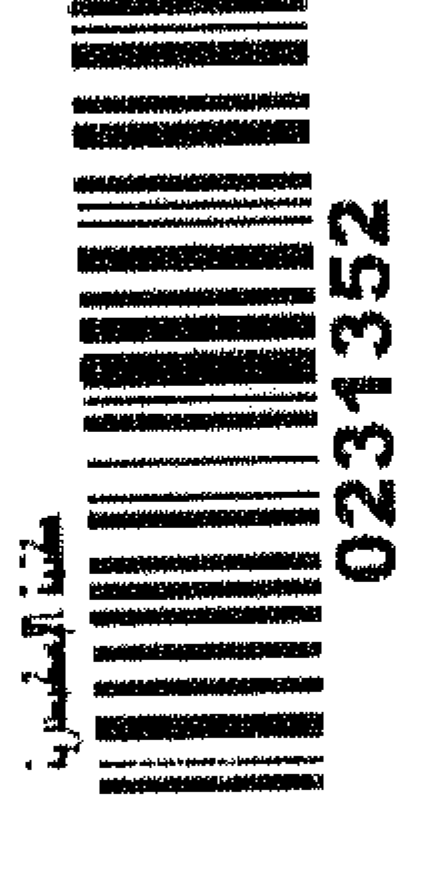
رحلة ممتعة فى تاريخنا القومى منذ النكسة التى اعقبت ثورة عرابى حتى النكسة التى اعقبت حرب يونيو . ومن خلال هذه الرحلة يكشف لنا الكتاب عن خفايا كثيرة ولاسيما فيما يتعلق بالنكسة الاخيرة .

ويعرض الكتاب لمجموعة من الكتب التى تناولت موضوع حرب السويس وازمة الشرق الاوسط . كما يتضمن مجموعة الوثائق الخاصة بالازمة ابتداء من مؤامرة ٥ يونيو الى الوفاق الثانى الاخير .

ومؤلف الكتاب - الاستاذ عاطف الغمرى - يعمل محررا للسياسة الخارجية بدار اخبار اليوم ، متخصصا فى شئون الشرق الاوسط . وقد ترجم عددا من الكتب السياسية الهامة منها : آسيا المعاصرة ، الاسلحة والسياسة فى امريكا اللاتينية .

انه كتاب جدير بالقراءة .

الثمن ٢٠



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب